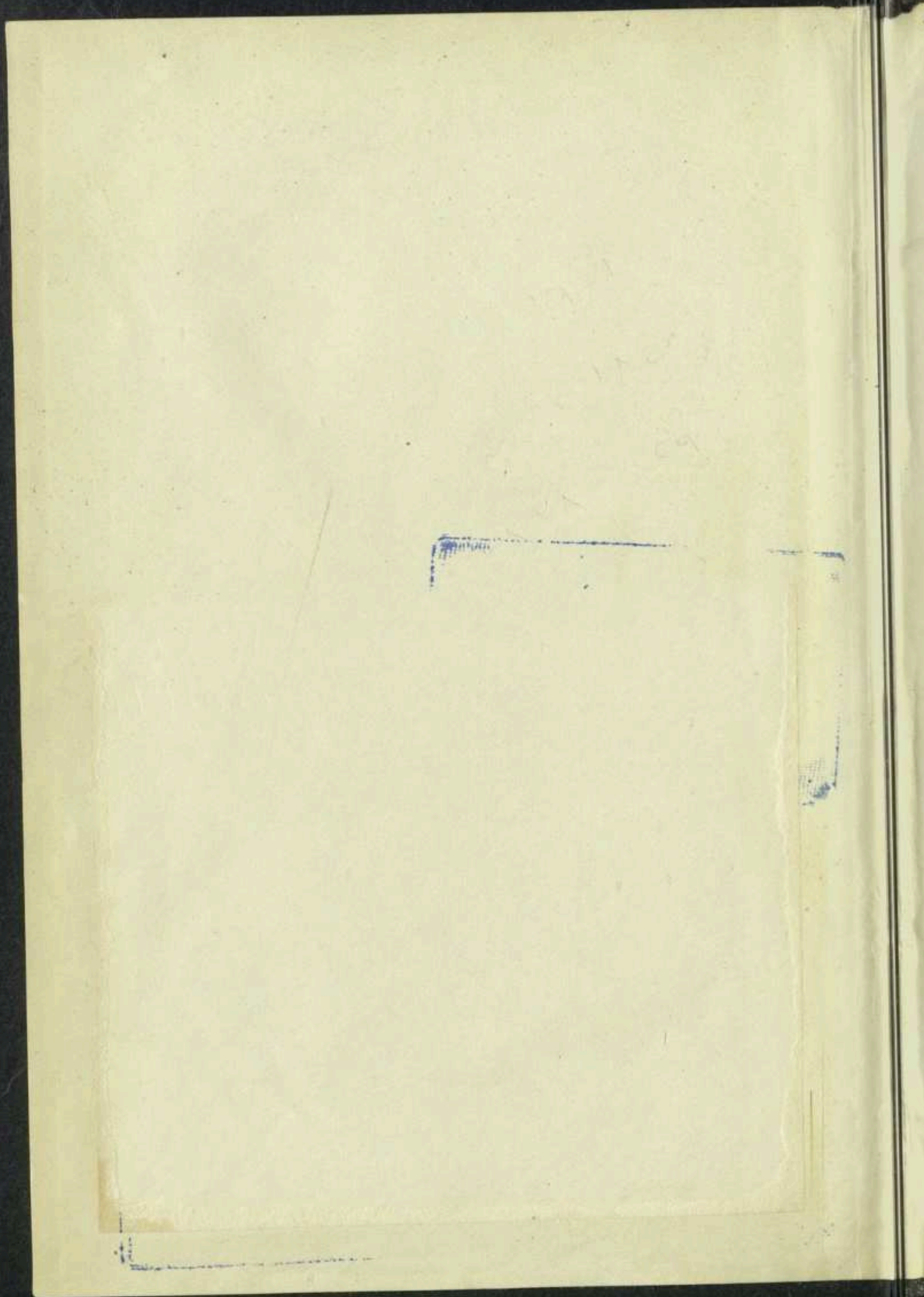
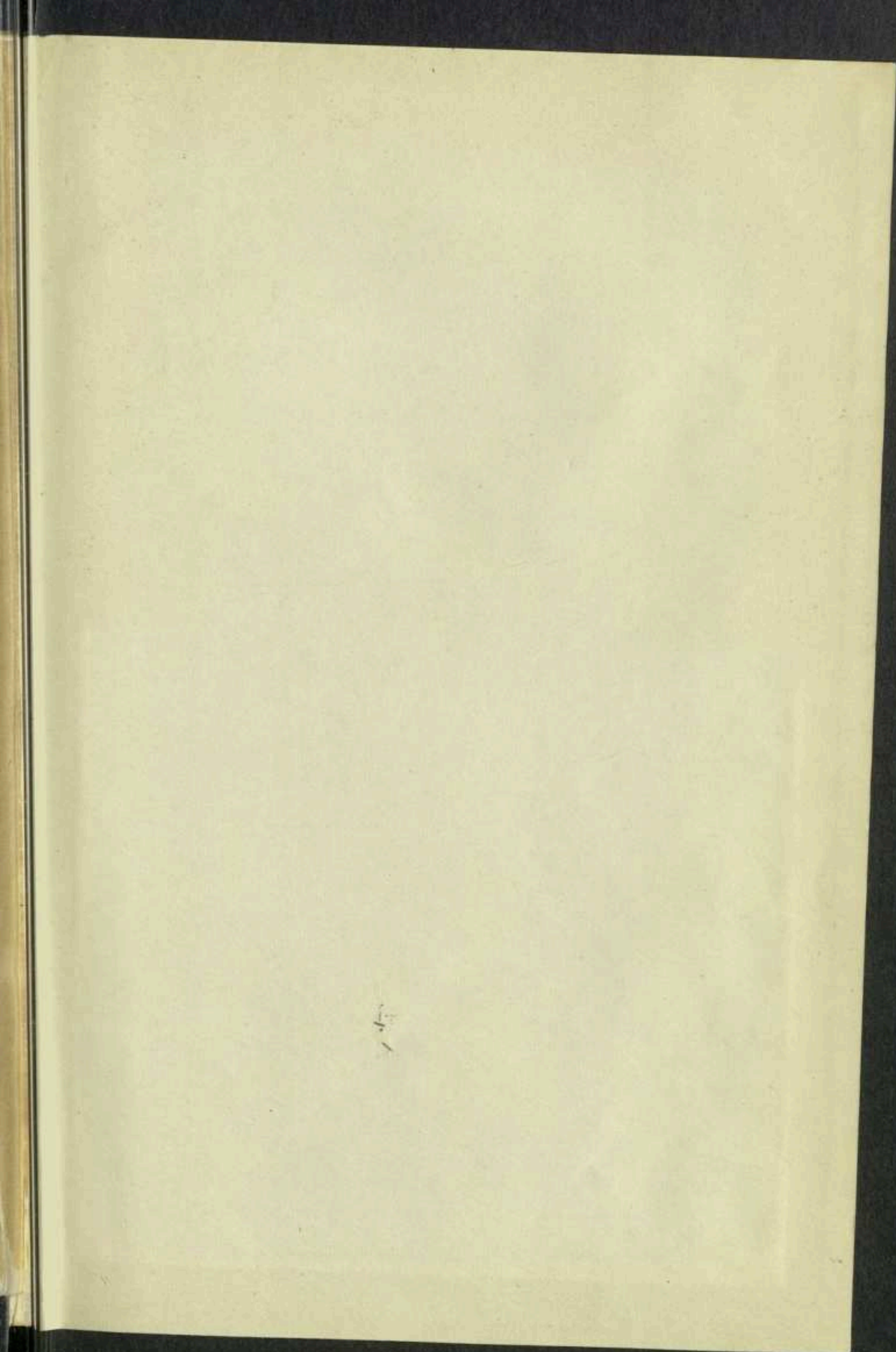




محمد علي الحوماني

أنتَ
أنت

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

فهرس

الإهـــداء

أخى المجاهدَ المخلص : اللواء صالح حرب!

إن وقوفى المستمر على منبر الشباب المسلم الذى ترأسه، والذى يعتصم بجهادك فى سبيل الحق ، وانطلاقى حرًّا فى ندوته التى تهيمن عليها بقلبك ولسانك ، أقول : إن وقوفى هذا كان له أقوى أثر فى توجُّهى إلى رسالة محمد .

وإن تشجيعك لى فى هذا الوقوف بلين تواضعك، ودماثة طبعك، و كرم خلقك، وسمو نفسك ، وعلو همتك ، ودقة إحساسك ، أقول : إن تشجيعك هـذا كان له أبلغ أثر فى توجيه رسالتى هـذه إلى شباب محمد .

وإن غيرتك على الناموسى الأعظم الذى تنزَّل به الروح الأمين، بتعزيزك هذا المنبر الذى نقف عليه ، ورعايتك الشباب العربى الذى يشخص إليه ، أقول: إن غيرتك هذه كانت أقوى عامل فى أن تـكون رسالتى منبثقة عن فجر محمـد .

وإن تعهُّدك لرسالة محمـد بالعناية والخضوع ، وقيامك على الجهاد الحق فى سبيل عروبتك وإسلامك وتفانيك فى إخلاصك لأمتك وبلادك ، كل ذلك حملنى على أن أحترم شخصك ، وأضع بين يديك رسالتى هذه إلى محمد .

مُقدّمة

بينَ يَدَيْ نجْوايَ

بسم الله الرحمن الرحيم

بينَ يَدَىْ نجْواى

سيدى محمداً يارسول الحق إلى العالم !

بين يديك رسالتى هـذه التى أبعث بهـا إلى الإنسان بعد ثلاثين عاماً جبت خلالها مشرق الأرض ومغربها، أتحرَّى موضوعا أبنى عليه تلك الرسالة ، فـكانت فى مطلع شبابى وفى غضونه، ثم فى قمته، حائرةً قلقة بين حكمة فجّة وشهوة عارمة تُشرف بالناشئ المتطلع إلى رسالة الأدب ، على حياة وعرة المسالك مظلمة الأفق مجهولة الأهداف .

ولما أجزت الشباب إلى الـكهولة، رأيتنى بما أسديتُ إلى الإنسان من نتاج العقل والعاطفة بين شعر ونثر ، رأيتنى أجهل الغاية التى أرسم إليهـا الطريق [illegible]اعتسف النهج الذى أحمل عليه القارئ المتأثر ، فإذا بى أنقم على نفسى فى توجيه [illegible]ان إلى أدب ليس وراءه غاية ، ثم إلى فن لا تنبض فيه روح.

[illegible]عدت الـكرَّة لاستعراض الحيـاة فى عالميها الجديد والقديم، لأتحسس من [illegible]سانية التى أبنى عليها موضوع رسالتى إلى الإنسان الذى وهبتَه حياتك، والذى أجدنى مدفوعاً بفطرتى إلى تأثرك بتوجيهه من وراء حق مفروض علىّ لشريك يزاملنى فى التماس الحياة .

فدخلت نويورك مرة أخرى، وقد توجتنى الكهولة بشباب الشيخوخة، وتغلغلت في هذا الشطر الأعظم من جديد العالم فمن نويورك التى ينحدر عنها السحاب إلى شيكاغو ذات الأفق المشرق بجمال الحضارة، ثم إلى مهبط روحى الشاعرة ديترويت مشغن مدينة السيارات.

وهكذا هبطت إلى فرجينيا فميامى فممفيس، ثم صعدت إلى بوسطن فمشغن فصوفالس وأنا نيّر الفكر مرهف الحس فقلت لنفسى : فى هذا الفردوس من عالم الدنيا يجد الشاعر والأديب والعالم موضوعاً لرسالته التى يوجّهها إنسان اليوم الغافل، ولكن إذ رأيت وأنا ضيف لمغترب عربى فى إحدى مدن ولاية أنوس، رأيت حقلا من الكمّثرى تضيق أرضه بالثمر المتساقط حتى ليدوس الجانى على أكداس من هذا الثمر ، فعجبت وسألت مضيفى عن سبب إهماله فقال : إن الموسم خصب و نقل الثمر يكلف أضعاف ثمنه لذلك يُهمَل ليحول الثمر سماداً للشجر.

وكنت قد قرأت أيضاً أن بعض هذه الولايات قد أتلف أهلها عشرات الألوف من أطنان القمح ليعلو ثمن الباقى ، كما قرأت أن حكومة ال أعدمت عشرات الآلاف من أطنان البن للغاية نفسها، بينما أقرأ أن مئات من هذه البلاد الذين تبلغ ثرواتهم عشرات الملايين من الدنانير يمعنون فى الإسراف الشهوات حتى لَتسوّل لبعضهم نفسه أن ينفق عشرات الألوف على كلب أو هر ثم لاتهديه حضارته ولا القانون المهيمن عليه أن يتطوع فى شراء هذا الطعام وشحنه

للجائعين من بنى الإنسان فى الهند أو الصين ، وقد شاهدت بنفسى ملايين منهم يأكلون وجبة واحدة فى اليوم والليلة من أردأ الطعام وأسوئه غذاء .

وجمدت يدى على فاكهة الكمثرى إذ خطر لى هذا ولم أكد أسيغها وهى فى فمى ، ثم قلت لنفسى : ليس فى هذا العالم ، على عظمته ، مايصلح موضوعاً لتوجيه الإنسان إلى الحق .

وزرت لندن أم العالم فراعنى من حضارتها تهالك الأمة السكسونية على العلم واعتصامها بالنبل وخضوعها للقوانين وحرصها على رقى العنصر الذى تنحدر عنه ، فقلت لنفسى : هنا أجد ضالتى المنشودة ، وما إن شهدت جامعة أكسفورد تلبية لأحد أساتذتها « مرجليوث » حتى وعيت نجيه مع زوجه الشمطاء إذ تسأله : هل لا يزال المسلمون لصوصاً وقطاع طرق ؟ ؟

ولم أشأ أن أجيبها ، وهى تحسبنى لا أفقه لغتها ، بأن صحف لندن قبل أيام نشرت أنباء السطو على أعظم تاجر جوهرى فى قلب العاصمة وسلبه جواهر تقدر قيمتها بثلاثين ألف دينار على مرأى من النظارة وفى ضوء النهار ، لم أشأ أن أقول لها ذلك ولكنى همست ونفسى : إن لندن هذه وجامعتها العالمية تضم أناساً كهؤلاء ، لا تصلح موضوعاً لتوجيه الإنسان .

ثم زرت « باريس » أم السربون جامعة العالم المتمدين فراعنى من جمال الحضارة المسبغ على شوارعها الحافلة بروائع الفن ، وفى حدائقها الغاصة بجمال الحياة من فتية

وفتيات ، فقلت لنفسي : هاهنا أقف ملتمساً نواة الرقى لموضوع أخفقت معه فى نويورك ولندن، حتى إذاجلس إلىّ الشباب العربى فى مقهى «دهلابى» وأخبرونى أن الإحصاء فى باريس بعد الحرب أفاد بأن أربعين من كل مائة نفس مجهولو الآباء، فقلت : ليس فى هذه ما يصلح موضوعاً لتوجيه الإنسان .

وعدت أدراجى إلى وطنى العربى أفتش فى معالم هذا الوطن البائس ومجاهله حتى هبط بى منطادالقرن العشرين على مطار القاهرة أم العروبة والإسلام وتغلغلت فى معاهد مصر وأنديتها على ضفاف النيل الأزرق معبود الأجيال ، ووعيت من أفواه الفتية والشيوخ على منابر التوجيه باسم الدين تارةوباسم الدنيا تارةأخرى ، ورأيت هذه الألسن تغرف من بحار المنطق وتتدفق على الأسماع بالحق الذى يعصم الفكر من الزيغ ، ويحمى الروح من طغيان النفس ، ويصرف القلب عن أن يستجيب للزائف من الحياة .

كان هذا الحق هو الدين الذى يتبارى شباب مصر وشيوخها فى الاعتصام به تحت سيطرة الوعى الآخذ بأسباب الرقى العارى من كل مايغوى ويضلل .

سيدى يامحمد :

لقد نزلت مصر وأنا حائر الفكر قلق الروح بين يدىّ موضوع يحدونى إليه الأدب الفطرى ، أبنى عليه رسالتى إلى العالم ، نزلت مصر ياسيدى وفى روحى نهم، لإشباع هذه النفس الحائرة من وراء الغيب ، إنها نهمة لأن تـكفر

عن رسالتها العابثة فى شبابها العارم، برسالة إنسانية تُخلص فى بعثها وأدائها .

وكانت مصر خير باعث لهذه الرسالة فى نفسى ، وخير مشجع لى على أدائها إذ كنتَ أنت موضوع تلك الرسالة، ورسالتك العليا كانت غذائى فى توجيه شبابك إلى الإنسانية بعد أن جرفه سيل المادة الطاغى إلى بحر من الغى لا يحده ساحل ولا تحدق به آفاق .

لقد كنت أنت موضوع هذه الرسالة وأنا اضطلع بتحبيرها مختلفا إلى المعاهد والمعابد أستمع إلى المؤمنين بك والصادرين عنك من قديم أوغر الشرق صدره على الظلمة ، وجديد فتح الغرب عينيه على النور ، وكنت أنت الموفِّق بينهما ليضطلعا بعبء رسالتك القائمة على الكفر بالظلمة والإيمان بالنور .

سيدى يارسول الله :

لقد كفَرْتُ فى أمريكا إذ كانت رسالتى تحت سمائها « حواء » وأسلمت فى العراق إذ كانت رسالتى بين رافديه « بَلا سِيم » ثم آمنت فى مصر إذ جاء « نخيلى » على ضفاف نيله مقدمة لرسالتى الكبرى « أنت أنت » .

فهل تشفع لى ياسيدى عند ربك يوم أرقى إليك وبين يدىَّ ما لا أرجو غيره أن ينقذنى من الهوَّة التى ترديت فيها مستجيبا النفسى الأمارة بالسوء هل تشفع لى ياسيدى حين أقدم عليك وليس لى شفيع إليك إلا ذلك المنقذ الذى هو :

(أنت . . . أنت . . .)

أنا رجعيّ

صارح أحد الشباب الناظم بعد إلقائه قصيدة من هذا الديوان فى أحد المحافل بمصر قبل صدوره بأنه مجدد فى ديوانه « حواء وفلان » ورجعى فى ديوانه «أنت أنت» فصدّر الناظم بهذه القصيدة ديوانه هذا موجهة إلى ذلك الشاب .

أنا رَجْعيّ

أنا رجعيٌّ كبيراً أنا رجعيٌّ صغيرا
أنا ياماِئع رجعيٌّ صغيراً وكبيرا

٭٭٭

مثلما كان أبي كنتُ مياهاً وترابا
وكما اختار تخيَّرت من البَزِّ ثيابا
ومن القمح طعاماً ومن المـاء شرابا
أتُرى عندك غير اللوز والجوز لُبابا ؟ ؟
أوَغيرَ الماء جدّدت شراباً مستطابا ؟ ؟
هكذا كنا وما زلنا ، خِرافاً أوذئابا
حبذا الرُّجعى إلى الماضي ولو كان سرابا
نملأُ الأرض على الغاصب حَرباً وحِرابا
يوم حاسبنا أعادينا فوفّينا الحسابا
وتسنَّمنا ذُرى العلياء شِيباً وشبابا

٭٭٭

حبذا الرُّجعَى إلى « طَيبةَ » هدياً وسلاما
لنرى عمرو العُلى خلفاً و « حَسّانَ » أماما
ينحت الشعر من الدين يراعا وحُساما
فإذا النجم أغاريدَ علينا تترامى
وإذا الدنيا تغنِّينا قعوداً وقيـاما
ثم نهار فنرتد مع الشعر حُطاما
نحسب الشعر أحاسيس تُهجِّينا كلاما
ودماً يزخر بالخيبة جبناً وانهزاما
ترُّهات تَسِم الغِرَّ وتملوه وساما
بعضها يعمى عن الحق وبعضٌ يتعامى

* * *

حبذا الرُّجعَى إلى بغدادَ قلباً ولسانا
نملأ الدنيا قصيداً فتَدَوِّى غَلَيانا
ونُروِّيها أناشيدَ فتغلي شَرَيانا
يستحيل النـور فيهن شُواظًا ودخانا
فإذا العـالم قلبٌ يتنزَّى خفقانا

ثم عدنا نقرض الشعر شعيراً وزَوانا
إذ رسمناه على الأفق دُفوفاً ودِنانا
وصرفناه عن الحق فَمِعْنَا هذيانا
وحبسناه على اللهو فزدنا مَيَعانا
فإذا الشاعر يرتدُّ إلينا بهلوانا

***

حبذا الرُّجعَى إلى عهد قطعناه رجالا
لم تسد فينا المخانيث ولم نلبس حجالا
أنا يا مِخناثُ رجمٌ مقالاً وفعالا
أمقت الجدة فى عينيك غنجاً ودلالا
ومنا كيرَ كسَتْ أطرافَ كفّيك جمالا
وكذا شِعرُكَ كالخنثى هُزالاً وخبالا
أو هو الموج إذا المَوْج تمادى وتعالى
يرطم الصخر فيندقّ وينهال رمالا
ليس فى معناه ما يصلح إلا أن يُقالا

لم يلح فى أفقه السيف ولا السيّاف جالا

* * *

أنا يا مارق رجعىٌّ طريفا وتليدا
أنا مفطورٌ على هذا قياماً وقعودا
كيف أنفكُّ عن الرُّجعى تُراثاً وجُدُودا
إنها ملء دمى مجداً وإن ظُنت جمودا
أنا رجعىٌّ بتفكيرى وإن كنت جديدا
أمقت الجدة فى رأسك كُفراً وجُحودا
لا أرى الجدة إلا أن أرَى قومى أُسُودا
وأرَى الرَّوْعَةَ فى الجدة ناراً وحديداً
تَتَبنَّانى فأبنيها صعوداً وصمودا
وتُغشّينى مع الليـل ركوعاً وسجودا

* * *

حبذا الرُّجعَى إلى الهادى قلوباً وعقولا
نملك الأرضَ ونعتزُّ بها عرضاً وطولا
بقلوبٍ يهتف المجـد فتهتزُّ نصولا

وعقولٍ سبَح النور بها السبح الطويلا
فإذا الدُنيا تُحيِّنا وتُصغى لنقولا
وإذا الصادى إلى العلم يعبُّ السلسبيلا
والأحاسيس يمارسن به الفن الجميلا
وَلَكَم كنتُ بها عبئاً على الفن ثقيلا
لم أجد إلا السفاسيف إلى الشعر سبيلا
فكرة جوفاء لم تروِ من الفن غليلا

***

حبذا العود إلى الماضى علوماً وفنونا
عالَمٌ كان أبا الرحمة والأم الحنونا
لم يكن يهدم بالعلم جهودَ العاملينا
وإذا طبّب لم يقلع رؤساً وعيونا
وإذا افتنّ رأيناه على الفن أمينا
ينشد الشعر فيبنيه قلاعاً وحصونا
وإذا أصحر كان الليث واحتلّ العرينا
هات يا مائع حدثنا عن الجدة فينا

أهى أن نعبث بالقول فنلغو لنُبينا
ونجلّ الفن فى الشاعر عَبْثاً ومجونا ؟؟

* * *

أنا يا مائم رجعىٌّ شمارا وشعورا
مثلما كان أبى كنت سميعاً وبصيرا
أسمع الصوت بأذنين نشيدا وصفيرا
وأرى الشخص بعينين جليلا وحقيرا
أنا رجعى ولا أنفكّ بالرُّجعى فَخورا
أمقت الجِدة فى أنفك شمخاً وغرورا
وأرى عنقك تندقّ بها ناراً ونيرا
تحسب الجدة فى الشعر خموراً وفجورا
وترى الرُّجعى مع الشاعر وثباً وزئيرا
وسمواً يملأ الكون شموساً وبدورا؟؟

* * *

أنا رجعىٌّ كبيرا أنا رجعىٌّ صغيرا
أنا يامائع رجعىٌّ صغيراً وكبيرا

ظمآن

ظمآن ، أنشُدُ ما يَبلُّ فمى
ويَكادُ يَشْرَق بى فمُ الدِّيَمِ
أظما ، وملء يدىَّ آنيةٌ
ملأَى تَشُبُّ النارَ ملءَ دمى
ظمآنُ ، يارب اسْقِنى بيد
عَصماءَ لم تُوصَمْ ولم تَصِمِ
بيضاء لم تقبضْ أنامِلَها
إلّا على فيضٍ من الحِكَمِ
إنى لآلَمُ كلّما مُنِيَتْ
نفسى بجرحٍ غيرِ مُلتئِمِ
يارَبَّ أحمدَ ، جُلْ بأحمدَ فى
نفسِى وطهِّرها من الألَمِ

***

يا ربِّ عفوكَ لستُ متّعِظاً
بالزاجراتِ على يدى وفمى
أُمسِى وأُصبح حائراً وعلى
عينىَّ مثلُ غياهب الظُّلَمِ
وطلائعُ الخمسينَ مُنذِرةٌ
بالشيب رأسَ طلائع الهرمِ
والنفسُ ، ويلَ النفسِ ، ثائرةٌ
تطغى علىَّ بسيلها العرِمِ
يا ربِّ ، ماذا أتّقيكَ به؟ ؟
لا مِقْوَلى زاكٍ ولا قلمى
أَوْلَيْتَنى النِّعَمَ الجسامَ وما
أوْلَيتَ إلّا كافرَ النِّعَمِ
يا ربِّ أحمدَ جُلْ بأحمدَ فى
نفسى وطهِّرها من الألَمِ

جنّة الشّاعِر

(٢)

جنة الشاعر

[من وحي مصر الجديدة]

تحتَ أعتابكَ عفّرنا الجباها
وعلى بابكَ سمّرنا الشّفاها
بابك الباب الذى يُفضى إلى
رحمةِ اللهِ التى لا تتناهى
كيفَ لا أعبدُ ربِّى عنده
وهو، لو لم يكُ لم أعرفْ إلٰها ؟؟
مِن هنا شقّ إلى « أندَلُسٍ »
حُجُبَ الغيبِ فتى العُرب وتاها
وكسا الغربَ سماءً لم يزلْ
مشرقاً فى كلِّ أفقٍ قمراها

أيُّها القائمُ في كلِّ دمٍ
ثورةً يعصفُ بالكفرِ لظاها
كلَّما ثارت على البغيِ يدٌ
سبّحت باسمك في الروعِ ظُباها
ومضتْ تبعثُ فينا بِدَعاً
يعثرُ الفكرُ بنا دُونَ مداها
بدعةٌ تَجنى وأخرى تُجتَنَى
والمنى كلُّ المنى بعضُ جناها
نحنُ في عهدكَ نسمو ونرى
كلَّ شمسٍ بك مرموقاً سناها
نُبصر الذرةَ في أعماقنا
ونعي همسَ الدراري في سماها
ثم نُغضي ، وعلى أعيننا
عَمَهٌ عن أن ترى حتى قذاها

الهـوَى الحائل فى أمِّى أبا

يستقى من دمها ما قد سقاها

والذى أوشجَ عِرقى بهما

شجراً يحتطب الفنُّ ذُراها

الهوى هـــذا الذى أرعيتَهُ

جَنـةَ الشاعرِ منّا فرعاها

وطوى فى صدرهِ من روضها

وردةً قبّـلَ فُرقانكَ فاها

الهوى هـذا ، وقد باركتَهُ

كان من قبلكَ حُمقاً وسفاها

وهو مِن بعدكَ وجهٌ خادعٌ

شاهتِ الدنيا به وجهاً وشاها

يحملُ النّضرةَ من غير دمٍ

نُكتةً راقت بعينٍ لا تراها

أنتَ فى كل حبيبٍ حَبّة
لم يعِ القلبُ هوًى حتى وعاها
ومضَى يُملى على كلِّ فمٍ
يشخصُ الكونُ له أيّانَ فاها
فإذا كلُّ جمادٍ قلِقٌ
كلما هُدهِدَ يزدادُ انتباها
وإذا العينُ التى أوقظتَها
تتحرّى فى السماواتِ رُؤاها

***

أيُّها الواصلُ بالأرضِ السَّما
صلةً لا يفصِمُ الدهرُ عُراها
صلةٌ ملءُ السَّما هيمنةً
تكلأُ الأرضَ، وملءُ الأرضِ جاها
صلةٌ أنتَ دمُ القلبِ لها
و« علىٌّ » و« حُسَيْنٌ » ، رِئتاها

أنتمُ الثالوثُ فى الأرضِ ، أباً
وأخاً ، وابناً، بكم «جبريلُ» باهى
أنتَ لقّنتَ وروّى « حيدرٌ »
شِرعةً فدّت حُسيناً ففداها

* * *

كنتَ فينا ، وستبقى كائناً
للجهادِ الحقِّ ، وجهاً واتجاها
لم تكنْ ، لو لم تكن أنتَ ، يدٌ
تشحنُ السِّلكَ قُوًى من كهرباها
وتروعُ النجمَ فى عَليائه
وتدكّ الأرضَ من صُمّ صَفاها
فإذا « نوركَ » تحتلُّ السَّما
والدُّجى يَرصفُ بالنجمِ حَصاها

* * *

أيُّها الطالِعُ بالكُنهِ على
كلّ غيبٍ يُعجز الفكرَ اكتِناها

يا أبا العالَم ، كِلتا هــذه
والتى نرقبُ ، تدعوكَ أباها
أنتَ فى الأُولَى وفى الأخرَى لنا
عُدَّةٌ يَزخَرُ بالأُسد شَراها
جئتَ بالحقّ فدوَّت صيحةٌ
لم يزل يعصِفُ بالكون صَداها
وتَبَوَّأْتَ بها منزِلةً
تتحامى عبقرٌ شِقَّيْ رَحاها
فإذا العالَمُ كونٌ صاعدٌ
وإذا عنوانه : « فرقانُ طه »

* * *

يا رسولَ الله زِدنا عِظةً
من أماليك ولَقِّنَّا حُداها
نحنُ فى بيداءَ لا الحىُّ بها
نابضُ العِرق ولا المَيْت غزاها

حالتِ الأُمّة فى أجوازها
أَمَةٌ ساخَتْ مع الغلّ يداها
أُمَّةٌ آذنتَ بالخلد لها
وتخطّتهُ إلى الهُلكِ خُطاها
إصطفَتْ خيرَ بنى الدُّنيا أباً
وإباءً ، ثُم عقّتْ مُصطفاها
تفتدى مَن يُحكم الغَولَ لها
بالذى كان من الغَولِ فِداها

* * *

السَّما تلك الَّتى تعهدُها
لم يزل يَحفِل بالشمسِ ضُحاها
يَغمرُ الأرضَ فيَندَى روضُها
بالدرارىِّ وتخضلُّ رُباها
والثَّرى هـذا الذى تعهدُه
لم يزلْ يقذِف ناراً ومياها

يَصدرُ الإنسانُ عن كونِهما
كائناً ثُم إليه ينتاهى
لاتحاولْ من فتاةٍ عِفةً
وعلى الفسقِ أبوها قد غذاها

☆☆☆

يارسولَ اللهِ إنا أُمّةٌ
لم تُفِقْ منذ تردّتْ من كَراها
لم تمتْ حتّى طوت أحلامَها
بردةٌ واراكَ عنّا طَرَفاها
إذ تنزّلتَ علينا ملَكاً
يحسُدُ الأرض عليهِ ثقلاها
وطِباع الأرض تأبَى أن يَمى
ملكوتَ الأُفُقِ الأعْلى ثراها
حمَلوا روحَكَ إذْ كانوا على
مسمع منك تروّيهم هُداها

ثم زاغوا وزَوَوْا صفحتها
عن مآقيهم إذِ الموتُ طواها
هذه الروحُ التى شقّ الهدى
حجبَ الغيبِ لها حينَ دَعاها
وتراءتْ قابَ قَوْسَيْنِ له
وحباها فيضَهُ حتى رواها
هـذه الرُّوحُ التى أخلصها
بارئُ الـكونِ لنا حينَ بَرَاها
لم يَشُبْهَا دَنَسُ الإفْكِ ولا
رسفتْ فى أيِّ قيـدٍ قَدماها
أفـكانت مثلَنا من حَمَـإٍ
والذى شاءَ لنا السِّتْرَ كَساها ؟؟

***

هـذه الأمّةُ مُذْ ودعتها
لم تطأْ أرضاً تبَوّأْتَ سماها

تطأ الأرضَ التى نالت بها
منكَ ، حتى بلغَ السيلُ زُباها
هشّمتْ عِرضَكَ وامتصتْ دَماً
عبَّ من عينكَ وامتصّ ضِياها
يا رسولَ اللهِ لم تبطشْ يدٌ
فى الوَرَى إلا تحمَّلْنَا أذاها

***

أنتَ فى كلِّ فمٍ أنشودةٌ
علَّ منها ، وعلى الكونِ جلاها
فمشتْ فى الأرضِ إنسانيةً
يتحدَّى كلَّ أفقٍ مُستواها

***

أنتَ فى كلِّ دمٍ كلُّ دمٍ
صفقَ الروحَ وصفَّى نُدماها
فاجتلتها كلُّ عينٍ لم تذُق
طعمَها فيما ترَى حتى كَراها

يا رسـولَ اللهِ لم تبرَحْ يَدِي
تتحرَّى قلمى منـذُ صِباها
تتحرّاهُ لتَروِى من دمى
كلماتٍ دمعُ عينىّ رَواها
كلماتٌ لم يزل يشدُو فمِى
بأغانيها ، ويندَى من لماها
كلماتٌ أنتَ ذو لُحمتِها
وحماةُ السُّدَّةِ العُليا سَداها
مصر الجديدة : ٥٤/٧/٢٣

عرائس الأبكار

عرائس الأبكار

[من وحى القاهرة]

مِن معانيكَ يا أبا الأبرارِ
طِيبُ هذا الأرِيجِ فى الأسحارِ
كاد يسرى عبيرُه منكَ محو
لًا إلينا معَ النسيمِ السَّارى
كلّما تاهَ فى معالكَ الفكـ
رُ تَحامته عِصمةُ الأفكارِ
وترامى على ترابِكَ محصو
صَ الخوافى مقلَّمَ الأظفارِ
كيف للفكرِ أن يُحيطَ بمعنا
كَ ، ومعناك سرُّ معنى البارى ؟؟

أنت مِرآةُ كلّ عينٍ ترى عيـ
ـنيك خفّاقتينِ بالأنوارِ
يُبصرُ القلبُ فى كيانِك أُفقاً
حافلاً بالشموسِ والأقمـارِ
يتبـارين فى سمائك إدلا
لًا على كلِّ كوكبٍ سيّارِ
ويُبارِكْنَ كلَّ عينٍ تراءيتَ
لها من وراءِ كلّ ستارِ

* * *

أنتِ أنقذتَنا بروحك من عقـ
ـلٍ حبيسٍ إلى طليقٍ جارى
يومَ فاضت سماءُ قدسِك بالحبّ
بِ على أرضنا وبالأنهارِ
يومَ كانت تُصَفّقُ الريحَ لم تلـ
ـجأْ إلى صرصرٍ ولا إعصارِ

جلجلتْ بالرعودِ كلَّ سحابٍ
غمـرَ الـكائناتِ بالأمطارِ
فأهلَّ النجومَ فى الأرضِ زهراً
وكساها خمائلَ الأشجارِ
وأشاعَ الضياءَ فى كلِّ حقلٍ
يتصبَّى النفوسَ بالأزهارِ
وحباها التلوينَ من كل ما يُضْ
فِى عليها عرائسَ الأبكارِ
فمصرتَ الفنونَ من كلِّ لحنٍ
ثم أشربْتَها دمَ الأطيارِ
فاستجابتْ لهمسِ روحِك ألحا
نُ السَّما عبقريَّةَ الأوتارِ
فإذا كلُّ عازفٍ ذائبُ القلْ
بِ عليها مُخضَّبُ القيثارِ

أنت أركستنا لنبقَى أناسى
یً ونزّهتنا عن الأطوارِ
لم تشأْ أن نكونَ طورًا مع القطْ
بِ وطورًا على شفيرٍ هارِ
تارةً فوق سُدّة العالَم الأع
لى ، وطورًا فى عالمِ الأحجارِ
شئتَ أن لانكون إلا أناساً
وأُناساً من عالَمٍ جبـارِ
عالَمٌ يحبس الخلودَ عليه
أنه والخلودَ فى مِضمارِ
عالَمٌ تَصدرُ الحقيقةُ عنه
هيْكلاً قائماً بغيرِ جِدارِ
ليس فيه إلا الصُّراحُ من الجوْ
هَرِ ، لا وارياً ولا متوارِ

قد صدرْنا عن عالَمٍ فاضَ بالخِبْ
رِ على كل كائنٍ مُختارِ
ثم أهوى بنا يُسِفّ إلى الأرْ
ضِ رجيعٌ من كوننا المُنهارِ
فإذا بالأثير منتظمٌ طو
رًا وطورًا محطَّمُ البركارِ
وإذا بالمهيمنِ الفردِ يَختا
رُك فينا مهندسًا مِعمارِى
تَعمرُ الأرضَ شارِدَ العينِ من قلْ
بك فى عالَمٍ بغير إطارِ
تسأل الروحَ عن مصادرِها الأو
لى لتنجو بها منَ الأوزارِ
لتردَّ الغضَّ المموَّه بالسِّتْ
رِ إلى روعةِ القديمِ العارِى

لتسلَّ الحياةَ مجلوَّةَ الأُ
فقِ علينا من حمأةِ الأكدارِ
فنرى الله فى صقيلِ مرايا
ها نقىَّ البرودِ والآزارِ
ونرى العلمَ فى قرارتها الأو
لى غنىَّ الكنوزِ والآثارِ
ونرى الفنَّ فى مفازتها العُلْ
يا جديدَ العقولِ والأفكارِ
ونرى الدينَ فى محاريبها الزُّلْفى
عزيزَ القسوسِ والأحبارِ
ونرى الحقَّ تحت قبتها الزر
قاءِ حىَّ الحُماةِ والأنصارِ

***

أنتَ رصَّعتَ بالكواكبِ مجرَى
فلكِ العبقريةِ الدوّارِ

وبعثتَ المياهَ تنطِفُ بالبأ
س ِ شرارًا من كلِّ زَنْدٍ وارِ
هكذا شئتَ أن نعودَ إلى بدْ
ءِ حياةٍ عميقةِ الأسرارِ
نتقِّى الجهلَ فى الحيـاةِ بما يكْ
شفُ عنها غياهبَ الأستارِ
فنَرى كيف يَنبتُ الحبُّ فى الحقْ
لِ وتنمو الفِراخُ فى الأوكارِ ؟؟
ونرى الطلَّ كيف يلفظه الزه
رُ جنىَّ الشِّهادِ للمُشتارِ (١) ؟؟
كيف تَغذو الشقيقَ أمٌّ غذت
صِنويه من نَرجِسٍ ومن جُلَّنارِ ؟؟
كيف تخضرُّ سُوقُها ثم تسودْ
دُّ ، وتُمنَى الرءوسُ بالاصفرارِ ؟؟

(١) المشتار : جانى العسل .

لم تقيّدْك بالنواميس أحكا
مُ وجودٍ فى الكائناتِ جوارِ
جُبتَ آفاقَها بغير جناحيْ
نِ وشُطآنها بغير بُخارِ
ولعلّ العقلَ الذى فتقَ الجوْ
وَّ وأجرى الأعلامَ فوقَ البحارِ
قلمٌ خالدُ السِّجلِّ تولّا
كَ به فى الوجودِ فيضُ البارى (١)
ليس بِدعاً أن نُبصرَ البدرَ منشقّاً
على ساعدَيك شقَّ سِوارِ
ونرى الظبيَ مستجيباً لِتِبْيا
نِكَ والماءَ من بنانِكَ جارى
أن نرى كلَّ مستحيل على غيْ
رِكَ يَعنو لديكَ بالإقرار

(١) بارى القلم .

أفلستَ الكفّ التى أسلس الحقُّ
عليها أزِمّةَ الأقدارِ ؟ ؟
أوَلست الروحَ التى صَفّق اللّـ
ـهُ بها كلّ وابلٍ مِدرار ؟ ؟
فأشاعت فى أرضنا كالذى شا
ع فوشّى سماءنا من درارى
وابلٌ يُثْقل الجميلةَ بالزهْـ
ـرِ ويكسو جبينها بالغار
***
لِمَ لاتفعلُ الذى ليس فى طوْ
قى ؟ وتأتى مالم يكنْ فى اقتدارى؟ ؟
أفيَجرى حَبُّ الندى وهو مانُبـ
ـصرُ ، مجرى العرمرمِ الزخّارِ ؟ ؟
أوَيُعيى الرُّبانَ فى شدِّ آزا
رِ الجوارى،ما كان(١) للمسمارِ ؟ ؟

---
(١) كان : خضع .

ليس خَرقاً ما كان منكَ لناموسِ من الـكونِ مُحكمِ الأسوار

إنما تخرق العقولَ وقد أخْنَى عليها تـكاثُفُ الأوضارِ

تتوخى ماتستنيرُ به منْ قمرٍ قاتمٍ بغيرِ سِرارِ

* * *

عوّدتْنا هذى العقولُ نواميسَ تمادت فيها بغير حِذارِ

عودتنا أن نبصرَ الليلَ فى الليلِ ووجهَ النهار وجهَ النهارِ

عودتنا أن لانعى الصوتَ إلا من خطيبٍ أو عازفٍ أو قارى

عودتنا أن لا نفكّرَ إلا فى حدودِ الهوّشِ الثرثارِ

الذى يخطبُ الجماهير منفو
خَ التَّراقى مفَكَّكَ الأزرارِ
كلما صفّقوا له هزه العُجْ
بُ فدكَّ الأثيرَ بالتزْآرِ
يخطُبُ الناسَ أنَّ من أبصر النا
سَ جديرٌ بحكمة الإبصارِ
أن من يُحكِمُ القريضَ من القوْ
لِ خليقٌ بروعةِ الأشعارِ
أن مَن فاه قائلٌ ، ومن ابتزْ
زَ منيع الحمى عزيزُ الجارِ
أن مَن ساسَ كانَ أحفلَ بالكذ
بِ وأحرى بزلةِ الفَشَّارِ
أن للدينِ معهداً قاصرَ الدرْ
سِ على الهينماتِ والأذكارِ

أن عهد السلطانِ لافرقَ فيه
بينَ حكمِ الأبرار والفُجارِ
أن من زاول الحكومةَ لايُسْـ
ألُ عن ماخرٍ ولا خمّارِ

***

هكذا يفهمُ الحياةَ ويمليـ
ها علينا نوابغُ الأحرارِ (١)
يفهمون الدعْوَى لما يَعصم النفْـ
سَ أفانينَ من نُهاقِ حمارِ
ليتَ فيهم دعاةَ حقٍّ يُفيضو
ن على السمع من زئيرِ الضّوارى
ليت مَن قال منهم وَزَنَ القوْ
لَ ومن ثار نال بعضَ الثارِ
لم يقولوا إلا سفاهاً ولا ثا
رَ بهم أىُّ فارسٍ مغوارِ

(١) فيه تهكم .

لو وَعَوا حكمةَ الرسول وثابوا
لَتَفادَوا شَقاءَ كل عِثارِ
لَرأَوْا مايراه بالقلب مَن لم
يُؤتَ عيناً حديدةَ المِنظارِ
لَرأَوْا مايكونُ فينا وما كا
ن ، بعينَىْ منقِّبٍ غَوّارِ
لَرأَوْا فى الظلامِ مالم تُصبهُ
كلُّ عينٍ غليظةِ الأشفارِ

***

ياشفاءَ النفسِ التى حزَّ فيها
من حُطَام الدنيا ركوبُ العارِ
أيفىءُ الغبىُّ من جورِ دنياهُ
إلى عصمةٍ من الدينارِ
ويَرانى أضلُّ إن أنا عوّذْ
تُ بكَ النفسَ من عذابِ النارِ ؟؟

أيكون الدينارُ ذخرًا لمن شا
ء ولا ذخرَ لى من المختارِ ؟؟
يا أبا القاسِم المشفعَ فينا
والمرجّى لهولِ عُقبى الدارِ
لستُ واللهِ آمناً من عذابٍ
لستَ فيه مجنّتِى وغِفارِى
بكَ ياسيدى ، ببضعتِك الزهْ
راء ، بالصِّهرِ حيدرِ الكرارِ
بالحُسينِ الشَّهيد بالحَسن الزا
كى بباقى الأئمةِ الأطهارِ
وبأصحابك الأُلى حفظوا عهـ
ـدك من هاجر ومِن أنصارى
لاتذرْنى فى يومِ بعثىَ محصو
صاً جَناحى ، مقلّمَ الأظفارِ

القاهرة : ١٥/٧/٥٢

الشمسُ الغاربَة

الشمسُ الغاربَة

[من وحى مصر الجديدة]

أين ياشمسى تغيبينَ ، ورُوحى
هتفَ البينُ بها فى أن تروحى ؟ ؟
مَن يداوِى بعد عينيْك جروحى ؟؟
أدركينى وصِلينى
بالذى يُطفى حنينى
بالذى يُبقِى على جفنى الذبيحِ
والذى يحفظُ دنيايَ ودينى

أين من عينيك يالُبناىَ عينى ؟ ؟
طالَ مابينهما العهدُ وبينى
أتمناكِ وأخشى أن ترَينى
فوق طِرسى ودواتِى
بين موتٍ وحياةِ
شاردَ الفكرةِ مغلولَ اليدين
أسألُ الوحشةَ عن ستِّ جهاتِ

....

أين ياأُمنيّتى عهدُ الأمانى ؟ ؟
نلتقيه فى ظلال السِّنديان ؟ ؟
ويُغنّينا بها شتّى الأغانى
بلبلٌ عانق غصنا
وشجا الأوراقَ لحنا
بين قصفٍ من دفوف ودنانِ
ومقاصيرَ تُغنّى وتغنّى

أنتِ ألقيتِ على عينى غُيوماَ
وسبكتِ الحبَّ فى قلبى نجوماَ
فأرَتْنيهِ نعيما وجحيماَ
وتساءاتُ وقلبى
عنكِ فى أيَّةِ درب
أمعَ الصبحِ تُحيِّينى نَسيماَ
أم مع الأطيارِ أدعو فتُلبِّى ؟

....

كَتب الخلدُ على عينيكِ شعرِى
وعلى ثغرِكِ إعلانى وسرى
وعلى صدرِكِ أُنشودةَ عمرى
كتب الخلدُ هنا
وهنا : أنتِ أنا
أنت هذا الخافقُ المالئُ صدرِى
مالئاً صدرَكِ نوراً ومُنى

كيف ياشمسُ تغيبينَ وأبقى ؟ ؟
أَرقُبُ المشرقَ تَحناناً وخَفقاَ
كم أُناجيكِ بدمعٍ ليس يَرقا[1] ؟ ؟
عدتُ للشعرِ فعودى
أو،عِدِى فى أَن تعودى
وسأبنى لك من عينىَّ أفقاَ
وأُروِّى من دمى أوتارَ عودى

....

الهوَى الطاغى على عينىَّ منكِ
هو هذا الشفقُ الصادر عنك
هو مثلى يبسِمُ الفجرُ وأبكى
فعلى كلِّ قضيبِ
همسةٌ من عَندليب
وعلى زَهرِ الرُّبى من كلِّ مسكِ
حبَّةٌ يشقى بهـا كلُّ أديبِ

(١) رقأ الدمع : سكن .

يا ابنةَ النُورَيْنِ عُودى وأعيدى
لونَكِ الشائعَ فى صمتِ الوجودِ
إنه سرُّ قيامِى وقعودى
وهبوطى وصعودِى
وركوعى وسجودِى
إنه سرُّ فنائى وخلودِى
إنه لحنى ، وترجيعُ قصيدِى

....

يا ابنةَ النورِ على أىِّ شبابِ ؟
أسدلتْ فرقتُنا أىَّ حجابِ ؟
وطوت من بعدِنا أىَّ كتابِ ؟
دقَّ عُنوانكِ فيه
واختفَى عمن يعيه
فتمثَّلتُكِ فى بحرِ عُبابِ
قطرةً يهلِكُ فيها وهى فيهِ

أسمعيني صوتكِ الصادر عني
وأريني شخصكِ الناهل مِني
لستِ من صنع يدي حتى تُجَنِّي
وأرى حتى المجُونا
جُنَّ بي منكِ جُنونا
وهو إذ روّاكِ من عيني وأذني
شربَ الآذانَ وامتصَّ العيونا

....

قَدْكِ يابنتَ أبٍ من غيرِ أمٍّ
يتبنّاكِ دمٌ في غيرِ لحمِ
باسمك انقدتُ وقُدتِ الكونَ باسمي
أنامَن تُؤويكِ داري
ويُغنِّيكِ هزاري
لاتغيبي يَهْوِ مِن عَلياه نجمي
ويَعِمْ ليلي به وجهَ نهاري

ما على كفكِ إذ مسَّتْ يدى
لو تحرّيتُ عليها كبدى
إنها دائرةٌ فى خَلَدى
وعلى كل بَنانِ
من معانىَّ معانِ
صفّقتْ روحى لها فى جسدى
وانطوى فى بعضها كلُّ كيانى

....

إبحثى ما استطعتِ بالعين التى
نضجتْ عن كنهِ ذاك المنبتِ
تجدى لحمَ أبى لم يَمُتِ
وصِبا أُمى نضيرًا
يملأ الدنيا عبيرًا
فى بنانٍ شفَّ من حيثُ أُتى
عن صباحٍ يملأُ الأعينَ نُورًا

أَنشِبِي ظُفْرَكِ وامتصِّي دمي
وأَعِلّي من بقاياهُ فمي
إن في وجهِكِ عبَنَيْ مجرمِ
لاتقولي: لا ، فعندي
خفقةٌ من كلِّ نهدِ
قرّحَتْ جفني وشقّتْ قلمي
وأعلّتْ منهما كلَّ فرندِ

....

أنا لولاكِ هبـــاءٌ في هبا
تافــهٌ روحاً وفجٌّ أدبا
جرِّديني تجـــديني حطَبا
وإذا شئتِ نهوضي
في ميادينِ العروضِ
هيمني أمًّا ترَىْ مني أبا
ويعجُّ الكونُ منا بالقريضِ

آهِ من عينك عينِ الولدِ
تُحكم الفتكَ بقلبِ الأسدِ
إنها كلٌّ دمٍ فى كبدى
سفكَتْهُ اللحظات
وجنتهُ الوجنات
فهو نهبٌ بين نَهْدٍ ويدِ
رَوِيتْ منه فقصّتها الرُّواةُ

....

لا تغيبى ، إن فى غيبكِ سترا
يغمرُ الكونَ فلا نفقَهُ سِرّا
وإذا لم أرَ هذا الكونَ جهرا
كيف أحيا وأجولُ
وأُباهى وأصولُ
وأرى حوّاء تُكسَى وتُعرّى
فأُناجيها ، فتوحى ، فأقولُ

لا تغيبي تستبحينَ دمى
إنه مصدرُ فكرى وفمى
والذى ينهلُ منهُ قلمى
لا تغيبى ، ودَعيهِ
يتمشّى النورُ فيهِ
فيرى عينيكِ خلف السُدُمِ
تستخفّانِ بمن لم تصليهِ

....

يا ابنة النورِ أطِلّى وأعيدى
أُفقىَ الحالمَ بالفجرِ الجديدِ
إنه عَوْدٌ بنا غيرُ بعيدِ
لو جَلَتْ عنكِ الليالى
وترسّمتِ خيالى
وانجلى أفُقك عن لَفْتَةِ جيدِ
تتصبَّينَ به كلَّ غزالِ

يا ابنـةَ النورِ أطِلّى تُبصِرى
لونَكِ الساحرَ فوقَ الشجرِ
إنه نَوْرُكِ لمّا يُثمرِ
لا تغيبى ، ودعيهِ
يتمشَّى النورُ فيهِ
ثمراً يحمـلُ شتَّى الصُّوَرِ
خافقـاتٍ بين جنبَىْ مُجتليهِ

....

أنا يا زهراءُ زهرٌ كلّما
صُنتِهِ أنعم عِطراً ونما
وإذا هانَ تراءى كالدمَى
صُوَرًا لا روحَ فيهاَ
تتصبَّى ناظِريهاَ
بفمٍ كان من الشَّمعِ فماَ
وشِفاهٍ خيّبتْ من يشتهيهاَ

يا ابنةَ النورِ أطِلّى وانشقِى
قبلما تَمضِينَ ، عِطرَ الزنبقِ
إنه مُلهِمُنا إذ نلتقِى
لا تغنيى ، ودعيهِ
يتمشّى النورُ فيه
أرَجاً مَن شمَّهُ لم يُفقِ
من كرى النشوةِ حتى توقظيهِ

....

طالعينا ياابنةَ النور تعى
كلَّ مايغُريكِ فى أن تطلُعى
أرهفى أذنكِ لى ثم اسمعى
ما تُغنّيكِ ضُلوعى
وتُناجيكِ دموعى
إنها ظلُّ أمانيكِ معى
لم تبارح مضجَعى منذُ ربيعى

جنّبي قُرصَكِ أن يحترقا
إنه بين ضلوعي خفقَا
كان في قلبيَ قلباً شرِقاَ
بالدموعِ الحمرِ حتى
كادَ أن يهلك صمتاَ
عبَّ من جفنيَ حتى غرِقاَ
وانطوى في صُوَرٍ من فيَّ شَتَّى

....

لاتغيبي وأنيرى لى طريقى
وامسحى عن ناظرى كلَّ بَريقِ
أنا لا أُبصرُ في النورِ الصفيقِ
إنه وهجُ ذُكاءِ (١)
لم تُصفقِّها سمائى
لستُ من ليلى مُفيقا أو تُفيقى
إن شمسى غيرُ شمس الشعراءِ

(١) ذكاء بضم الذال : الشمس.

لا تغيبي عن سمائي وأطلّي
أنا من ليليَ في صمتٍ مملٍّ
كنتِ ظلّي يومَ لم أنعِم بظلٍّ
ونعيمي في جحيمي
وجحيمي في نعيمي
مَن لذِكراي بأن تصحو ومَن لي
بكِ ياشمس الصِّبا أن لا تغيمي

....

إن تغيبي عن سمائي فسأمضي
وسأمضي ناشداً بعضيَ بعضِي
وسأمضي في سمواتي وأرضي
وصباحي ومَسائي
وأمامي وورائي
إن في طولٍ من الدنيا وعَرض
مفزعاً للحرِّ ، حُرِّ النُّزلاءِ

سوفَ أمضِي وأرَى مالا يَرى
شاعرٌ آمنَ حتى كفرا
باحثاً فى الأرض عن « أم القُرى »
وبآفاقِ السماءِ
يتحرّى كلَّ ماءِ
أنا مَن ينشدُ رِيًّا وقِرى
فى كريمٍ من قبيلٍ كرماء
....
هذه « بكّةُ » والغوثُ هُنا
فانتجعْ «زمزمَ» واسترفِدْ «مِنى»
كلُّ مافيها أمانٌ ومُنى
لو تمنى (١) المستَحيلا
لتَمنيتَ قليلا
يحسُدُ الروحُ عليها البدَنا
ويَوَدُّ الصبحُ لو كان أصِيلا

(١) تتمنى .

ذلكَ البيتُ وهذى « عرَفاتُ »
«ومِنى»«والخَيفُ»«والمزدلفاتُ»
مِن هنا حلّتْ علينا البركاتُ
فملكنا الأمرَ حينا
وحكمنا العالَمينا
ثم حلّت بعدهنّ اللعناتُ
حيثُ خابَ الأملُ المرجُوُّ فينا

....

مِن هُنا دكّت قُوانا الأرض دكا
وصكَكْنا مِسمَع الأيامِ صكّا
ومشَتْ بُعرانُنا فى البحر فُلكا
وعلى متنِ الرِّياحِ
سُحُباً ذاتَ جَناحِ
وإلى الحشر ضمنّا العزَّ مُلكا
نتلقّاه كِفاحاً عن كفاحِ

قُم بنا نَصْعدْ إلى غارِ « حِراءِ »
حيث نبتُ العز جَمٌّ الخُيَلاءِ
نسألُ الأحجارَ عن وحيِ السماءِ
كيفَ جلاّها رُموزا
تملأُ الدنيا كُنوزا
حفَلَتْ أسفارُها بالعظماء
وتولّوا نا عزيزاً فعَزيزا

....

هٰهنا وسّدَ « طٰه » خدّهُ
حجرَ « الغارِ » وأعفى زَندَهُ
فتهاوى كلُّ رأسٍ عنـدَهُ
يسألُ الغارَ سلاما
واتحـاداً ونِظاما
فإذا كلُّ نبيٍّ بعدَهُ
يَلثمُ الصخرَ ويستفُّ الرَّغاما

هٰهنا سدّد «جبريلُ» فما
وغدا فِكْراً وروّى قلَما
ها هنا أَنزلَ فرقانَ السّما
وتلقّاهُ الأمينُ

فإذا العزّةُ دينُ
وإذا الدينُ ملاذٌ، وحِمَى،
وإذا الدنيا علومٌ وفنونُ

....

قمْ بنا نحبُو على أرؤُسِنا
ونسلُّ الدّاءَ مِن أنفسِنا
ونصبُّ النورَ فى أكؤسِنا
فنرى «طَيْبَةَ» جَهرا
ونَعى «أُحْداً» و «بَدْرا»

فإذا نحنُ على مجلِسِنا
نتحدّى قيصرَ الدهرِ وكِسرى

هـذه « طَيبةُ » أمُّ الأُممِ
قِبلةُ العُربِ وقُدسُ العَجمِ
إنَّ فيهـا عِصمةَ المُعتصِمِ
إنها الدهر صُمودا
والفراديسُ خُلودا
إنها العينُ التى لم تَنَمِ
عن مخازينا ولم تَنْشُدْ رُقودا

....

هذه « يَثربُ » فاركعْ واسجدِ
وقُمِ الدهرَ عليهـا واقعدِ
إنها رمزُ التُّراثِ الأحمدى
عزَّ فينا أثرا
وتعـالى خبَرا
تلمسُ الصبحَ به كلُّ يدِ
لمست تُربًا ومسّت حجرًا

كيف لا تزخرُ نوراً وهدَى
بقعةٌ ضَمَّتْ إليهـا « أحمدا »
رحُبتْ أفقاً وطابت مَرقدا
وتسامَتْ - كوكبًا
منذ كانت «يَثْرِبا»
إنها الأمُّ التى لن تلِدا
غيرَ « طَه » لِبنى الدُّنيا أبا

أنتِ يا مصدرَ عزِّ المسلمِ
أنتِ نورُ الحُبِّ يغلى فى دمى
وشعاعُ الحقِّ يعلو مِن فمى
أنتِ فى مسرَحِ طَرْفِى
وعلى جبهة طِرفى
أنتِ عنوانُ الإبا فى قلمى
ومثارُ الزهوِ من لحنى وعزفى

« طيبةَ » الأحرارِ والرهطِ الأُلى
قوَّموا العـالَمَ حتى اعتدلا
أينَ مَن حبرّ فيكِ المُثُـلا
وطوَى الدُّنيا عليها
فمشتْ بينَ يدَيها
تارةً جُنداً وطوراً خَوَلا
فإذا الحـكمةُ منها وإليها

....

أين « ياطَيْبةُ » أحلامُ الرجالِ ؟
بزَنُ البأسُ بها شمَّ الجبالِ ؟
أين أُسدُ الغابِ أبطال النزالِ ؟
أين غُلبُ الفاتحينا
والليوثِ الطامحينا
أين مَن جُنّتْ بهم سُمر العوالى ؟
واسترقّتهم خَدِيناً فخَدينا

أين « ياطَيبةُ » أبطالُ نِزارِ ؟ ؟
أين« طه» و« عليّ »والغِفارى ؟ ؟
أين صِدِّيقُكِ مأمُونُ العِثار ؟؟
أين أهلوك الأعزّه ؟؟
أين فاروقُ و« حمزه» ؟؟
أين قِرِضابُ عليّ ذو الفقار ؟ ؟
يقمع الشركَ ويستأْصِل رِجزه

....

أين « ياطَيبةُ » يا أمَّ الجيادِ ؟ ؟
أين أمجادُكِ من عهدِ إياد ؟ ؟
أينَ أسدُ الغابِ أبطالُ الجهادِ ؟ ؟
يَقسرون الحدَثانا
ويخطُّون الزمانا
فإذا الأنجمُ أكبادٌ صَوادى
تمطِرُ الدنيا شُواظاً ودخاناً

أين « ياطَيبةُ » هاتيكَ الليالى ؟ ؟
اقفرتْ بعدكِ من كلِّ هلال ؟؟
وانطوى فى قفرِها كلُّ جمالِ ؟ ؟
تركَ الدُّنيا يبَابا
والأمَانىَّ سرابا
فإذا الناشِئُ فى ظلِّ العوالى
هَمَلاً تأكلُ عيناهُ الذُّبابا

....

أينَ يا «طَيبةُ» مَن سادوا وشادوا ؟؟
وبكى الحىُّ عليهِمْ والجمادُ ؟؟
أين مَن كانت وما زالتْ تُعادُ ؟؟
باسمِهم فينا العِظاتُ
والرُّقَى (١) والصَّلواتُ
أين بيضُ الهندِ والسمرُ الصِّعادُ ؟
تأكلُ الموتَ عليهنَّ الغُزاةُ ؟؟

---

(١) التعاويذ والتمائم

يا رسولَ اللهِ ، ماذا نتّقى ؟؟
بكَ ، إبقاءً على ما قد بقى ؟؟
سفّهوا أحلامَنا باسمِ الرقى
فتولَّوْنا عبيدا
لا نعى إلّا جديدا :
من هوًى غضٍّ وخُلقٍ خَلَقٍ
وأمانٍ جعل الحقَّ طريدا

....

يارسولَ اللهِ ، إنَّا لانرى
مِن بُناةِ المجدِ إلا الصُّوَرا
لم نعُدْ نسمَعُ عنهُمْ خَبرا
زلزلَ الأرض دَويّا
وطوَى الآفاقَ طيّا
بالسمعِ يتحَدَّى البصرا
ولِعينٍ تستمدُّ الأُذنَ ريّا

الجدودُ اتحدوا فانتظموا
مُثُلَ العالم فيما حكموا
وبنو الآباءِ صَمُّوا وعَمُوا
يسمعون الهمسَ جرساً
ويرون الفردَ خمساً
وإذا حاولتَ أن يعتصموا
بالرُّؤى منكَ تولَّوا عنك خُرسا

....

قومك الأدنَوْنَ هانوا ورضُوا
فى سبيلِ العيش أن ينقرضوا
عاهدوا ربك ثم انتقضوا
فاستووا والحيوانا
يستسيغون الهوانا
والهوى فى كلٍّ نفس مرض
ينطوى حِقداً ويذكو شنآنا

الخيال

[من وحي لبنان ــ حاروف]

الخيال

[نظمت في قرية «حاروف»]
حيث ولد الناظم

يا خيالاً أجرى ويجرى ورائى
أين منّى ومنكَ عينُ الرائى ؟؟
ألبسَتْك الأيامُ ثوباً من الخُلْـ
ـدِ وألبستنى أشفّ رِداء
ياخيالاً أبقى لِأَرزاً بالأحـ
ـبابِ ، وهو الباقى على الأرْزاء

* * *

ياخيالاً يمرّ بى كلما مرّ
ت بعينى حقائق الأشياءِ
أنت ظلّى ياصاحِبى وكلانا
ظِلٌّ هذى الطبيعةِ الخرساءِ

أنتَ فى خاطِرى بياضُ تسابيحَ
نَخيطٍ فى سُبحتِى السوداءِ
أنت هذا الذى أراه سواداً
فى أمالى صحيفتى البيضاءِ
أنت هذا الذى يداعِب جفنَ
يَّ لذكرَى حديقتى الغناء
للّيالى القِصارِ ، للقمرِ الضا
حكِ فيها ، للمُقلةِ الزرقاء
* * *
ياخيالاً أراه فى كُوخىَ البا
هتِ قصراً موشّعَ الأبهاءِ
وأراه فى قصريَ الرحبِ كوخا
ضيّقَ الصدرِ مُظلْمَ الأرجاءِ
أفأنتَ الذى أضيقُ بهِ فى
أيّ حالٍ خشيةٍ ورجاءِ ؟

شبحُ الفقرِ أنت ، حيٌّ مع المثـ
ريّ ، وحيٌّ الرجا معَ الفقراء

* * *

ياخيالاً يُجيلُ عينيَّ فى أرضـ
ـي ويحثو ترابها في سمائي
يزدريني شيطانُ أرضي ويرثى
لي مَلاكُ السماءِ فى عليائي
أتوخّى ريبي منَ الأفُق الأ
على ، وقدْ غاض بين جنبيَّ مائي

* * *

ياخيالاً يُطل من لحْظي السا
جي على كلِّ ديمةٍ وَطْفاءِ
فيريني ضبابَها كيف ينحـ
ـلّ سقيطاً مصفّقَ الأنداءِ
يتجلّى والسحرَ فى أعين النر
جس ، والشعرَ في فمِ الوَرقاءِ

ياخيالاً يرفضُ من قلبيَ الدّا
مِع ، حتى يغيضَ في سوْدائي
باحثاً عن جناحِه بينَ جنبيّ
وَعَن مخلبيّهْ في أحشائي
يتوخى الصعودَ للقمرِ المرّ
يخ مستعلياً على الجوزاءِ
مُنشباً ظفرهُ بكل يدٍ تحـ
ـمي عليه مصادرَ الإيحاء
تترامى به إلى الحق أُنشو
دةٌ لا آدمٍ ولا حوّاء
إنما يَنشُد الحقيقة في الدا
ءِ ليستلّ منه كلّ دواءِ

* * *

ياخيالاً يُغرى بيَ الفنَّ طوراً
من سروري ، وتارةً من بكائي

أتلقّاه في المباهجِ ألحا
نًا وفي البؤسِ قطرةً من دماءِ
أتملّى به الأمانيَّ في صبـ
حي وأشقى بهن في ظلمائي

***

ياخيالاً يُفيءُ بي حُلُمَ الذكر
ى إلى عالمٍ من الأحياءِ
عالمٍ ملؤهُ غَوايةُ نفسٍ
في حياةٍ ثقيلةِ الأعباءِ
كلما لفّني الظلامُ تلقّف
تُ بعينيَّ حفنةً من ضياءِ
فترينى وراء ماتصف اليق
ظةُ وجهَ الحقيقةِ الشوهاءِ

***

ياخيالا يُميتني كلما ذق
تُ حياتي على يدَيْ عذراءِ

أتلظّى من الظما وأرانى
أستقى منهما دمَ الصهباءِ
وكأنى ، وقد عصرت أمانىَّ
على نهدِها ، لفظْتُ ذمائى(١)

***

ياخيالاً يهزُّنى كلما أمعنتُ
فى ذكرِ سيدِ الصحراءِ
أسدٌ يلفظُ الفريسةَ إلا
أن تُؤاتيه غضةَ الأشلاءِ
صفّقتْ للحياةِ بين يدَيه
صلواتٌ فسيحةُ الأرجاءِ
فصلاةٌ أسرى بها غار « ثورٍ »
وصلاةٌ عاذت بغار « حِراء »
وصلاةٌ تُحيلُ فى عالمِ الخلـ
ـدِ كِيانَ البنينَ فى الآباءِ

(١) الذماء بقايا الروح .

أوّلٌ ثبّتَ الركائزَ أُسًّا
وأخيرٌ أعلى صروحَ البناءِ
نفرٌ هيمنَ الرسولُ عليه
لمَ لايصطفيهِ ربُّ السماء ؟ ؟
لِمَ لايتقى بما يتلقّى
من بلاء جحيمَ كلِّ بلاءِ ؟ ؟
نفرٌ أعرقَ التنبُّؤُ فيه
كيف يخشى معرّةَ الأنباء ؟ ؟
لِمَ لايتّقى بما يتلقّى
منْ شقاء جحيمَ كلِّ شقاءِ ؟ ؟
نفرٌ هيمنتْ عليهِ منَ الحقِّ
يدٌ عبقريّةُ الآلاءِ
لِمَ لايتقى بما يتلقّى
من عناء جحيمَ كلِّ عناءِ ؟ ؟

يالقومى أُريتُ فى عالَم الأ
مواتِ أنى فى عالمٍ أحياءِ
أَفَلَيست رؤياى برهانَ أنى
فى فَناء أجوزه لبقاءِ ؟ ؟
أأنادى محمداً وهو نور
فى كيانى ، ولا يُجاب ندائى ؟ ؟
أفأدعوهُ ، وهو أوثَقُ عينـ
ىَّ بقلبى ، ولا يجاب دعائى ؟ ؟

* * *

هِبةُ الله فى فمى هَذَيانٌ
عبقرىٌّ الإلهام والإيحاء
أسكرتْـنى به شمائلُ من « أحمـ
ـد » مجلوّةٌ بغير إناءِ
صفّقتها أيدٍ من الفنّ لم تر
قَ إليها أعنّةُ الشعراءِ

هِبةُ اللهِ بينَ جنبيَّ خفّا
قُ الأماني مُوَزّعُ الأهواء
أطلعتْني بهِ على الغَيْبِ أكما
مٌ تفتّقن عن أبي «الزهراءِ»
هنَّ في مكتبي عرائسُ أقلا
مي وفي موكِبي بنودُ لوائي
فإذا جلتُ في الطروسِ تحسّسـ
تُ بروحي من سَيِّدِ الأنبياء
وإذا صُلتُ في الكريهةِ أفعمـ
تُ به القلبَ من دمِ الهيجاءِ
فأُريتُ النصرَ المبينَ أغرَّ
الصبحِ من فجرِ صعدتي السَّمراء
هنّ في معرِضِ الحياةِ فتونٌ
وفنونٌ في معرِض الأحياءِ

كلما افتنّ فى الحياةِ أديبٌ
سلّ من فىّ[1] فتنةَ الأدباءِ
وإذا افتنّ عالمٌ كانَ فرقا
نىَ مجلى خواطرِ العلماءِ

* * *

ياأبا الرسل : ماادّعى فكرةَ الغيـ
ـبِ على غير فيكَ إلا مُرائى
والمعالى لايَستقِمن على النضج
مطاويعَ لليدِ الجذّاءِ
يا أبا الرسْلِ مامدحنا جميلاً
لم تكنْ فيهِ بالغَ الإسداءِ
ليسَ فى وجهِ من يقولُ ، ولا يحـ
ـمدُ ماقلتَ ، قطرةٌ من حياءِ
قلتَ : بالعلمِ نعرفُ البانىَ الأ
ول ، إذ كنتَ أُسّ كلِّ بناءِ

(١) أى من فمى .

فبعثتَ العلومَ تهتِفُ بالنُّو
رِ فتجلُو حقيقةَ الكهرباءِ
فتربنا من عالمِ الملأِ الأعْ
لى سَرَاةَ الهبوطِ والإسراءِ
يهبطُ الروحُ جبرئيلُ ويعلو
للسماواتِ سيدُ البطحاءِ

***

يا أبا المُصطفَينَ ما كنتَ إلا
مصدرَ الشمس مصدرِ الأضواءِ
كل نام من كل ماتهَبُ الأر
ضُ ، مدين لهن بالإنماءِ
أنت هذا اللحنُ الذى يهب الد
نيا ترانيمَ هذه الأصداءِ
كل شادٍ يُصغى إلى النغمِ الحىّ
مدينٌ لهنَّ بالإصغاءِ

وعلى قدرِ كلِّ كائنة تق
ـبسُ مِن نورِ أُفقكَ الوضاءِ

***

ياملاذَ الرأىِ السديدِ تحامتْ
كَ عقولٌ سديدةُ الآراءِ
لايَرى فيكَ من تنبّأ إلا
أنَّ رؤياكَ مصدرُ الإنباءِ
نِعْمَ فرقانُكَ المؤيّدُ بالحق
سِجلاً للقادةِ العظماء
الأُلى يصفَعون بالحـكمةِ الغَ
رّاءِ وجهَ السياسةِ الخرقاءِ
والأُلى ينشُدون سرَّ الأبِ الرا
كدِ خلفَ البنُوّة الهوجاءِ
والأُلى يقرأون فى كلِّ سِفرٍ
كلَّ سِرٍ يُهيبُ بالقرّاءِ

فيُريهم أنَّ الحقيقةَ ظل
من سماء تضيقُ بالأسماءِ
سجلتها بنانُ أحمدَ فى تِبْـ
يانٍ لا أعجمٍ ولا عجماءِ

***

يا أبا الرسل أنت ذخُرى وأنت
الأملُ المرتجى ليومِ جزائى
ليس لى غيرُ ما أقولُ ولا
مُنقذَ لى من هوايَ إلا وَلائى

٥٣/٩/٢٣

جمال الذكرى

[من وحي مصر]

جمال الذكرى

[من وحى مصر]

كيف أنسى الهوى، وملء إهابى
كلُّ ريانَ من دمٍ وشبابِ ؟؟
أفأجفو الصِّبا ومَهبِطَ أما
لى ، ومَجلى خيالىَ الوثّابِ ؟؟

***

كيف أسلو «شقراء»[1] والوردةَ»
الغنّاء فيها وجَنّةَ الأعنابِ ؟؟
أو أسلو ماعشتُ ، مشمشَها
الحانى على لُمَّـةٍ منَ الأصحابِ ؟؟
كيف أسلو تلك الليالى وَلا
أبكِى لها كلَّ سيدٍ غلاَّبِ ؟؟

---

(١) شقراء : قرية فى جبل عال ، علم فيها الناظم برهة من الزمن.

أوأسلُو «وادى السَّلام»(١) وليلَ
السَّطحِ فيهاوضحوةَ السِّرداب؟؟
وصباحَ النخيلِ فى «الجَزْرة»(٢)
الفيحاءِ يُغرى يدىّ بالأرطاب ؟؟
والأخلاء من « شرارةَ والزين »
نشاوَى الثغورِ والأكواب ؟؟

***

أوأسلُو «حاروفَ»(٣) أُغرودتى
الأولى وملهىَ لِداتىَ الأتراب ؟؟
كيف أنسى « ظهر البيادرِ » وا
لبيّاضَ فيهاوحوطةَ الألعابِ(٤)؟؟
يومَ كنا نروح بالنرجسِ الضا
حِى ونغدُو بهِ على الكُتّابِ(٥)

(١) هى مدينة النجف حيث درس الناظم .
(٢) متنزهنا فى الكوفة حيث الفرات .
(٣) حاروف قرية فى جبل عامل حيث مولد الناظم .
(٤) أسماء متنزهات الناظم فى قريته .
(٥) الكتاب مدرسة الناظم الأولى .

أَوَأسلُو « لُبنانَ » والأُفق الضا
حكَ فيهِ ، وعند ليبَ الغابِ ؟؟
أَوَ أنسى مصيفنَا تحت « بكْفيّا »
على العينِ فوقَ « بيتِ شبابِ »(١)
أَوَ أنسى « الشاغُورَ » فى رأسِ
« حَمّانا » ومجرى عقيقه المنساب
كيف أنسى وادى « العرائشِ »
والبَردونُ » ينساب كاللجين المذابِ

* * *

أَفأنسى حواءَ فى رأسِ « بيرو
تَ » ودنيا جمالِها الخلابِ ؟؟
أَوَ أنسى إذ وسدتنىَ ما أضْ
فتْ على ناظرىَّ من أطيابِ ؟؟
كيف أنسى بها ليالىَّ بيضا
ءَ الدرارى نقيةَ الجلبابِ

(١) أسماء قرى لبنانية ، وكذلك مابعدها .

أوَ أنسى المهدَ الذى شقّ عنها
شفتىْ شاعرٍ وصدرَ كَعابِ ؟ ؟

* * *

كيف أسلو نُويركَ والشفقَ
الحائرَ فيها على جبينِ السحابِ ؟؟
أوَ أنسى جاراتىَ الموجَ إذ
أطرق أبوابها وتطرق بابى ؟؟
أوَ أنسى « بُحيرتى »(١) والعيونَ
الزرقَ فِى ظلِّ موجِها الصخابِ ؟؟
والفتاةَ اللَّعوبَ إذ وقفت
منى على الصخر موقف المرتاب ؟؟
« صخرة » شد ما أفأنا مع الصبـ
ح إلى ظلِّها وقبل الغيابِ

(١) بحيرة مشغن فى الولايات المتحدة «أمريكا»

أوَ أنساكِ انتِ أنتِ (١) التى
وَحْدكِ ألهمتنى جديدَ كِتابى ؟ ؟
أنتِ أنتِ التى حجبتِ سَرارِ
ىَّ وأغلقتِ دونها أبوابى
أنتِ أصلَيْتِهِن كلَّ جحيمِ
وتحمّلتِ دونهن عذابى
لم أعد أُبصر الحياةَ سوى
عينين مَعروشتَينِ بالأهدابِ
وبنانٍ يَطوى على الخلدِ
كفّيْنِ خضيبينِ من دمِ العُنابِ

* * *

تسألينى : ماذا أفدتُ منَ
الحبِّ؟وماذا جنيتُ من أحبابى ؟؟
أفيُرضيكِ أننى سابغُ العَيش
وأنِّى كحفنةٍ من ترابِ ؟؟

(١) هى حواء الناظم الخاصة به وهى موحية ديوانه «حواء».

لم يَصِمنى قصفُ الشبابِ ولا
أخنَى على جِدّتى ولا أزرَى بى
أعلى الحبِّ لمُتِنى ، وبه خَفَّ
إلى قِمّةِ الخلودِ عُقابى ؟ ؟
صفّقتنى به عباقرةُ الشعرِ
وروّتْ كؤوسُها أثوابى
سلّحتنى أمى الطبيعةُ بالحبِّ
وَشدتْ على الأثيرِ رِكابى
ثم قالت حلِّقْ إلى الأفُقِ الأ
علَى ، إلى حيثُ سُدّةُ المحراب
حيثُ يملى ناموسَ أرضِكَ
« جبريلُ » على عبقرٍ من الكتّابِ
ثم يدلِى به إلى « بكّةٍ » عصـ
ماءَ غرثَى العصورِ والأحقابِ

ويجولُ الروحُ الأمينُ بعينيْ
ـه خِلالَ الستورِ والحُجّاب
فإذا موضعُ الأمانةِ منْ آ
دَمَ رهنٌ بأكرمِ الأنسابِ
وإذا « أحمدٌ » يُطلُّ على الـكوْ
نِ عريقَ البُذورِ غضَّ اللُّبابِ
وإذا نحنُ فى عوالمَ ينميـ
ـها « لعدنانَ » أوثقُ الأسبابِ
نتحدى بقصفِها شُهُبَ الآ
فاقِ زُرقَ الأكُفِّ والأنيابِ
وندكُّ الجبالَ بالحُوَّل القُلَّـ
ـبِ من زاحفٍ ومنْ دبّابِ

***

لم يكنْ قبلَ بَعثِ أحمدَ فى دنيا
الورى منْ قراءةٍ وكِتابِ

لم يكن قبل بعثه الفكر من فكـ
ـرٍ شديد القوى حديد الناب
يتخطى السماء بالأرض حتى
يتلقى السها بكفى ساب
لم يكن بعد عهد أحمد ذو
عينٍ وأذنٍ يشق بعزمٍ ناب
يتلظى من الظما ويظن
الرى فيما يراه لمع سراب

***

أيهذا البانى معاهد ماانفكـ
ـت تراث الفنون والآداب
كم مفنٍّ يهيب بالفكر حتى
يذهل الكائنات بالإعجاب
يترامى بالعقل فى مجهل التا
ريخ حتى يخوض كل عباب

ناشداً مصدرَ الفنونِ على أضْ
واءِ حَدسٍ منَ الظُّنونِ خَوابِ
فتَروَّى الحضيضُ من دمهِ الزَّا
كِي وَروَّى به عروقَ الرَّوابي
وانثنى حاسِرَ البصيرةِ لم يظْ
فَرْ بغيرِ المحدِّثِ الكذَّابِ

***

وعليم يُهيب بالعقل حتى
يملأَ الخافقَيْنِ بالتَّصخابِ
يترامى بالفكرِ في ضِلَّةِ الأوْ
هامِ حتى يُزيلَ كلَّ نقابِ
ناشداً مصدرَ العلومِ على
خفقةِ بَرْقِ الحُباحِبِ الخلّابِ
فإذا بالمحالِ فيما يرى يُو
طئُ عينيهِ مثلَ شوكِ الحرابِ

.

وتطلعتَ للحياة مهيباً
بالأمانى تدكُّ شُمَّ الهضابِ
فإذا بالدُّجى ، وقد طمَس الأ
عينَ ، ينجابُ عن سماءِ الجابى
وإذا أنت باعثٌ فيه عينَ
كَ شهاباً يُنيرُ إثرَ شهابِ

* * *

كلما أبدعتْ يدٌ أنشقَتنا
مِن شذا أحمدٍ عبيرَ مَلابِ
وعلى كلِّ باذخٍ هتفَ العز
مُشيرًا إليهِ بالإنتسابِ
لم أُسائلْ به عباقرةَ الأ
يّامِ ، إلا أُجبتُ بالإيجابِ
كلهم يَنشُد الحياةَ على نه
جكَ ملأى مِن روعة الإغرابِ

ويجوبونَ باسمِك الحيِّ منْ
شمِّ الأماني ماليسَ بالمُنجابِ
لَامدادُ اليَراعِ يهتِفُ بالعِزَّ
ةِ فينا ، ولا شَبا القِرضابِ
إنما الفكرةُ التي علَّمتنا
كيفَ رقمُ العُلى وضربُ الرِّقابِ
تلك تجري بها اليراعةُ عص
ماءَ ، وتمضِي السيوفُ غير نَوابي
وهْيَ من وحْيِ ماأفضتَ علينْا
من عِظاتٍ تنزّلتْ في كتابِ
هُو سرُّ الحياةِ في بعْثِ كَونٍ
لاغبيٌّ فيهِ ولا مُتغابي

***

أنت يامَصدرَ الوجودِ لأسْبا
بِ حياةٍ عزّت على الطُّلابِ

أنت وقّيتنا هيا كلَّ شُمّنا
حافلاتِ الرؤوسِ بالأذْنابِ
ودعوتَ الأحرارَ منا إلى هَيْ
كلِ قُدسٍ مقبَّلِ الأعتابِ
يَنشدُ الأمنَ فيهِ مِن كلِّ جِنْسٍ
كلُّ طيرٍ مُروَّعِ الأسرابِ
هيكلٌ صفّقت على جانِبَيْه
شُرُفاتٌ تَفيضُ بالتَّرحاب
مُترَعاتُ الكؤوسِ للظامىءِ الحَ
رَّانِ مِن سلسبيلِ كلِّ شرابِ
وإذا ماالشرابُ ذو حَنَقٍ دام
إليها ، فجرعةٌ مِن صابِ

* * *

يا أبا القاسمِ اسقني من أبار
يقِكَ ، واملأْ مِنْ فيضِها أكوابي

أتفادى بما أفيدُ على كأ
سِك ، دُنيا كثيرةَ الأوصابِ
ويداً تَنشُدُ الحقيقةَ بيضا
ءَ فترتدُّ جمّةَ الأوشابِ
وفماً لم أفه بهِ رائدَ المَنْ
طقِ إلا فقدتُ كلَّ صوابِ
ماأراني حققتُ بالفمِ آما
لى ، ولا أنجزتْ يدى آرابى
أتفادى عُمراً ملأتُ به منْ
كلِّ مايقهرُ الحياةَ وِطابى
أتفادى عصراً مردتُ عليهِ
بين ظُفرٍ منَ الشقاءِ ونابِ
أتفادى هوًى أسفَّ به طا
وُوسُ جَدِّى ، واعتزَّ فيه غُرابى

فاستبدتْ أصداؤُه بىَ حتى

لا أعِى منهُ غيرَ ماتنعابِ

نقٍّ ياسيدى صحائفَ السُّو

دَ وبيّضْ بها سِجلّاً حسابى

القاهرة ٥/٨/٥٣

دفة الملاح

[من وحي القاهرة]

دفة الملاح

[من وحى مصر]

أنتِ أغريتِ بالمساء صباحى
فدعينى أسمو بغير جناحِ
إن فى روعةِ الدجى لخيالاً
من جمادٍ ، ونشوةً من صاحِ
فصِّلى من ذُؤابةِ الليلِ جفنىَّ
ومِنْ عُنفُوانهِ مِصباحى
لا أحِبُّ الصباحَ يَبهرُ عينىَّ
ولا البدرَ يَسترقُّ جماحِى
أنا عبدُ الظلامِ أخلُو إليهِ
بخيالى ، وأجتلى فيهِ راحى

وأُروّى من ناظريكِ أمانىّ
وأجلو عليهما أقداحِى
رُبَّ فجرٍ أضلّنى فيكِ بالزّ
هرِ المندَّى والكوكَبِ الوضّاحِ
فنشدتُ الظلامَ أجلو على
لَيلاهُ خمرى وأجتنى تفاحِى
الظلامُ الرهيبُ يُنعِمُ عينى
ويقينى الفَلاةَ منْ أشباحِى
الفَلاةُ اللائى يُهدهِدُها ليلى
ويشقى بهولِها إصباحِى

* * *

أنتِ أسريتِ بى إلى الأفقِ الأ
علىِ، وفصّلتِ من دُجاه وشاحِى
ثم وشّيتِهِ كما شئتِ من وحْىِ
الدَّرارِى باللؤلؤ اللمّاحِ

أنا فى ذمةِ الظلامِ تسجّينى
غواشيهِ فى ضميرِ الواحى
فأرى فيه منْ « حِراء » جديدًا
يصدعُ الكونَ بالجبينِ الضاحى
وأعى فيه صوتَ «أحمدَ» ينهال
علينا من قِمّةِ الإصلاحِ

***

هلْ تعودينَ ياسماءُ بما يَضْ
فُو على جانبيكِ من أرواح ؟؟
تُمطر الأرضَ بالتسابيحِ أحيا
نًا وحينًا بالسائفِ الرمّاحِ ؟؟
هل تعودينَ ياسماءُ كما كنْ
تِ سماءً حسّاسةَ الألواحِ
يومَ أسرى فيكِ الرسولُ على
أبجرَ لا شامسٍ ولا رمّاحِ ؟

وتراءى مِن حولهِ ملـكَوتٌ
عبقريُّ الفضاءِ رحبُ الساحِ
تترامى إليه أفئدةُ الخلْ
قِ تخيناتِ غُلةٍ وجراحِ
تتوخَّى الشفاءَ مما تعُا
نيهِ بكفَّىْ مُهيمنٍ جرَّاحِ
درس الطبَّ فى معاهدِ قدس
عَلَوىٍّ ، لاجامعاتِ سِفاحِ
وسقانا بكفٍّ جبريلَ مانجـ
ـلو عليه عرائسَ الأفراحِ
خمرةً يعكفُ الخلودُ عليها
فى غدوٍّ من كونهِ ورَوَاحِ
خمرةٌ لالماءِ كَرمةَ ينميـ
ـها أبوها ولا لماءِ قَراحِ

يردُ المتقونَ صرعَى من الشوْ
قِ عليْها ، ويَصدُرون أضاحِي
فإذا همْ على الزمانِ مصا
بيحُ يُديرون دَفّةَ الملاّحِ
وإذا بينهُمْ يهزُّ أبو القا
سمِ عِطفْ غَضَنفرٍ جحجاحِ
يستمدُّ المهيمنَ الفردَ فُرقا
نًا لنا منْ صحائفٍ وصِفاحِ
منطقٌ يَشرعُ الحياةَ وسيفٌ
يدّريها من ساعدَىْ سَفّاحِ
ومَضاءُ الصلاحِ يُعوزُه منْ
عبقرىٍّ الحياةِ أمضى سلاحِ

***

يا أبا الرسْلِ : همٌّ عينىّ أن
أبصر فِي ناظريكَ وجهَ صباحِي

الصباحُ الذى يشقّ إلى البا
بِ طريقِى وفى يدى مفتاحِى
تفصح العينُ فى غِيابته عنْ
عبقَرِ الخلدِ ، أيّما إفصاحِ
همُّ كفىَّ أن تمَسّا تُراباً
من ضريحٍ يُزْرى بكلِّ ضُراحِ (١)
يستمدُّ الوجودُ تيارَهُ الزّا
خرَ منْ فضلِ مائِهِ الضَّحضاحِ
فإذا بالحياةِ تَصدرُ عنهُ
منتهى حكمةٍ وفيضَ سماحِ

٭ ٭ ٭

بضعةٌ من سيوفِكَ القُضُبِ العصْ
ماءِ مشفوعةً ببضعِ رماحِ
شَحذتها من بين جنبيك جِدّ
يّةٌ لاساخِرٍ ولا مَزّاحِ

(١) الضراح من النجوم البعيدة .

بدّلتْ عالمًا بآخر لم يحـ
تجْ إلى مِسحَجٍ(١) ولا مَسّاحِ
فإذا عُنصرُ الحياةِ يحيّيـ
نَا ببيض منَ الأكفِّ سِماحِ
وإذا جوهرُ الحقيقةِ يغشا
نا ببيضٍ منَ الوجوهِ صِباحِ
وإذا جبرئيلُ فى أوجه الأعلى
مشيراً للأرضِ بالألواحِ
وإذا كبش هاشمٍ يتلقّا
هنّ ملء الصدور ملء الراحِ

* * *

يا أبا القاسمِ المهيمنَ بالصبحِ
علينا من فجرهِ الصبّاحِ
جنةُ الخُلدِ فى ثراكَ خبَتْ
بينَ يديْها حرارةُ الملتاحِ

(١) المسحج : فأرة النجار .

جنةٌ ما أحرَّ شوقى إلى طيبِ
غُبوقٍ فى ظلِّها واصطباحِ
جنةٌ غيرُ ذاتِ وشىٍ منَ الرَّو
ضِ ، ولا ذاتِ بلبلٍ صدّاحِ
إنها الجنةُ التى يأمنُ الشَّا
كِى بها كلَّ غائلٍ مُجتاحِ

القاهرة ٥١/١١/٧

لوحة الرسام

لوحة الرِّجام

[من وحى مصر عند ماساد الأمة انحلال فى دينها وأخلاقها على يد مليكها والمقربين إليه] .

٩/١١/٥١

لاربيعى زَهوٌ ، ولا أيامى
مُثقلاتُ الجفونِ من أحلامى
ماجفانى زهوُ الرَّبيعِ ولكنْ
أنتِ كنتِ الربيعَ من أيامى
ياصفاءَ السماءِ فى نفسىَ الأُو
لى ، وفجرَ الصَّباحِ من إلهامى
ماتبسَّمتُ للحياةِ ولكنْ
كنتِ عنوانَ ثغرىَ البسَّامِ
ذكَّرَتْنى هذى الطيور بآما
لِكِ مجلوّةً على آلامى

تتحرّى شِباتِ فجركِ يُضْفِيـ
ـها جلالُ الدُّنيا على أقلامى
أشبِعينى منَ الحياةِ فقد غا
ضتْ أمانىَّ فى دُجَى أوْهامى
أينَ منى ومنكِ دُنيا جلا صبـ
ـحُك أنغامَها على أنغامى
يوم كنا لامورِدُ الحبِّ محجو
رٌ علينا ، ولا شِفاهُ الجامِ
كنتِ أنتِ الحبيبَ والأمَلَ الغضْـ
ـضَ وكانتْ من ناظِريْكِ مُدامى
كلَّما الْتفَّ ساعداكِ على عِطْـ
ـفىَّ جُنَّتْ جنونَها آثامى
وتبيَّنْتُ ناظرَيْكِ فأبصرْ
تُ حوالىَّ كلَّ قلبٍ دامى

أين ذكراكِ إذ شممتُ فأحكم
تِ بكفيكِ فى الشكيم لجامى ؟
كيفَ أخفقتُ من هواكِ مع الشدْ
بِ وأفلتّ من يديكِ زمامى ؟
وعلى كلّ بقعةٍ ينشر الفنّ
طرازاً منْ وشى روحى السّامى
ياحياتى فى كلّ ماترِدُ العيْ
نُ ، ويروَى منها حشاىَ الظّامى .
انشقتْ هـذهِ المنا كلُ من شع
رِكِ قلبى روائعَ الأنسامِ
فترامَى على يديكِ تراميـ
ها ، وقد ذبذبتْ على الأقدامِ
تسألُ الوردَ فى ذُراها عن الجا
نى ، وتفاحه عن الشمّامِ

ساخِراتٍ بالـكوثرِ العذْبِ فى ظلّ
أمانٍ على يديكِ دوامى

* * *

يالذِكْرى أيامىَ الهوج فى ظلّ
شبابٍ كالزّهْرِ فى الأكمامِ
حافلٍ بالجلائلِ الغُرِّ من كُفْ
رى ، وبالتّافهاتِ من إسْلامى
أثقلتْ كاهِلى بهِ نَزَواتٌ
عَصفت بالجليلِ منْ أعوامى
كلُّ ماأرْتجيه مُنْدحرٌ خَذْ
لِى ، وما عضّ ساعِدىّ أمامى
بكَ يارِبِّ أسْتجيرُ ، بما أنزَ
لتَ من حِكْمةٍ ومِن أحكامِ
بالنبى الأمىِّ يَغْمرُه النُّو
رُ فينجابُ عنهُ كلُّ ظَلامِ

وبَثَّ الإسلامَ فى الأرضِ حتى
لاتَعى فى الوُجودِ غيرَ سلامِ

***

أىَّ قوسٍ برتك من عالمِ
الإبداعِ أيدٍ سديدةُ الإحكامِ
وسهامٌ أهوتْ يُسدِّدُها من
عالمِ الأنبياءِ أحكمُ رامِ
فاستوتْ فى الوجودِ عالم إنسا
نٍ حديدَ القلوبِ والأفهامِ
فإذا بالسَّلامِ أُفقاً وبالإ
سلام جيشاً مُدوّى الأعْلامِ
وإذا بالسَّماءِ ينجابُ عنهـا
كلُّ وحىٍ طريدَ كلِّ غمامِ

***

أيُّها الحارثُ المجِـدُّ يَزُقُّ الأ
رْضَ من بُرْعمٍ وبرٍّ طعامِ

هلْ ترى فى الشَّقيقِ تحضُنُه الأ
كمامُ، غيرَ الجنينِ فى الأرْحامِ ؟ ؟
أفغيرُ الثُّغاء فى ظُلل السَّد
مِ زئيرُ الاسُودِ فى الآجامِ ؟ ؟
أو غيرُ الترابِ فى الوهْدِ مايزُ
هى به الصخرُ فى ذُرى الآكامِ ؟؟
أمُّنا هذهِ الطَّبيعةُ والطَّا
غى علينا مُحيطُها الْمُترَامى
تخلُطُ الماء بالتُّرابِ فينْهالُ
علينا أحــاجياً وأسامى
بعضُنا شائه الخليقةِ مغمورٌ
وبعضٌ ضافى السُّرادِق طامى
بَعضُنا يأكل التُّرابَ من العُدمِ
وبعضٌ يعلوه ريشُ نَعامِ

بعضُنا سابغ الحياةِ من النُّعمى
وبعضٌ في جملةِ الأنعامِ
بَعضُنا خادمٌ تَضيقُ به الأرضُ
وبعضٌ يضيقُ بالخُدَّامِ
هكذا تصعَد الحياةُ بنا مجمو
عةً من غَرائبِ الأجْسامِ
قد فقَهْنا هـذا وأعمقَ منهُ
في رُفاتِ الأخْوالِ والأعمامِ
إذْ دَرسْناه في كتابٍ منيرٍ
ورويناهُ عن نبيٍّ تهامي

***

يا أبا المعجزَيْنِ قلباً وعقلاً
من نذيرَيْنِ مُصحفٍ وحُسامِ
أنْتَ علَّمتنا الحصافةَ بالذِّكرِ
وعزَّ الحياةِ بالصَّمْصامِ

بكَ عُذْنا من كلِّ مايفسِدُ البَدْءَ
ولُذْنا من سُوءِ كلِّ خِتامِ
يا أبا المحكماتِ فى كلِّ عصْرٍ
أنتَ ذُخرُ الحكيمِ والحُكّامِ
أنتَ ميزانُ ما يُحدُّ به الفكرُ
ومضمونُ عَيبة العَلاَّمِ
أنت أُغنيّةُ الفُنِّ بما يشْدُو
وعُنوانُ لوحةِ الرَّسَّامِ
أنتَ هـذا الذى نرَاهُ على
آفاقِ «رُوما» وفى ربوعِ ميامى (١)
من جَديدٍ تحارُ بيْنَ يديهِ
أُمّهاتُ الإجلالِ والإعْظامِ
من جديدٍ يزُرى اللَّفاظةَ بالسَّيفِ
ويغُرى الجبانَ بالضّرغامِ

(١) روما : مدينة أوروبية ، وميامى : مدينة أمريكية .

لا المجلى فى الأُفق من ذى جَناحَيْنِ
ولا فى الصَّعيد منْ ذى خُطامِ
مَسَّةٌ من يديْكَ سلكَ جمادٍ
فإذا أنت سيدُ الأَجرامِ

***

يا أبا المرسَلين أنتَ بعثت
العقلَ فذَّ الإنقاض والإبرامِ
بكتابٍ جلّيتَ فيه النَّواميسَ
وكانتْ عَصيبةَ الإبهامِ
وأقمتَ الدُّنيا ، وقدْ قعدَ الجهلُ
بها فى الحياةِ ، خيرَ مقامِ
فقرأْنا عليْكَ كلَّ رقيمٍ
وركبْنا إليْكَ كلَّ سَنامِ
وانتهَينا مكافحين إلى النَّجمِ
حُفاةَ الرُّؤوسِ والأَقدامِ

لم يَقُدنا ، فيما نُقارع صَلصا
ل ُظُباتٍ ، ولا حَصَانةُ لام ِ
جَلْجلَ العَقْل فى الأثير فهزَّ
الأرضَ صوتُ الدمدمِ الزَّمزامِ
وهتفنا من كلِّ كونٍ مُهيبينَ
بها : يالَروعةِ الإسلامِ

***

يا مُجير الأنام من هول مايَلقى
أجرنا من مُوبقات الأنام
ملكوا الأمرَ بالخيانة فينا
فرَعَونا ، لكن رِعاءَ سَوام
يتعالَوْن فى القصور علينا
وندسُّ الأُنوف تحت الرَّغام
يالهذى التيجان فوقَ رؤسٍ
دوّختها فظائعُ الإجرام

تَتَبَنى أحجارَهـا قطراتٌ
حضنتهـا محاجرُ الأيتام
لم يقم ملـكهم على غير أُسٍّ
من رجيع الهوى وخَفض الهامِ
مَلِكٌ أو مُحَـكَّم أو زعيم
أو رئيسٌ ، خلط من الأقزامِ
وردوا الملكَ مشفقين من الملك
وباءُوا منـه بـكل أثامِ
يَنشدون الحياة مجلوَّة الأفق
بِعيـنَيْ غُـلامةٍ أو غـلامِ
لايُوالون غير جبتٍ ، ولايُصغو
ن إلا لـكاذبٍ نمّـامِ
همُّهم فى النهار نَعمةُ عين
ومن الليل نشوةُ استسلامِ

لايُبالون ، والنعيمُ مقيمٌ
أن تطيحَ الجُباة بالأرقامِ
ماعليهم وهم نيامٌ عن الأمة
إن هوّمتْ مع النُّوّامِ ؟؟
فاستماضت عن سادة الحكم فى
الأبهاء بالسيدات فى الأفلامِ
فإذا الدَّستُ مَسرحٌ يتنزَّى
فوقهُ كلُّ حارثٍ همّامِ
وإذا الرأس بينهم عربىٌّ
حافلاً صدرُه بكل وِسامِ
ماالذى يحمل الوسامُ وما ذا
يحمل الصدرُ خلفه من عِصامى؟؟

مصر ٥١/١١/٩

أنتِ أنتِ

[من وحي سوريا]
١٩٥١

أنت أنت

أيُّهذا البانى وعَيتَ فأحكمتَ
بناءَ الأذانِ فى الأذانِ
أنت أسَّستَ دولةَ الفـكرِ
فاعتزَّ بكَ العلمُ شامخَ البنيانِ
وتحسّستَ من وجودك حتى
جُلتَ فى كُنهِهِ بغيرِ كِيانِ
وتَغَلْغَلتَ فى النَّواميس حتى
دانَ منها لِوعْيكَ الخافقانِ
فمشتْ حولكَ الملائكُ
يُملونَ على الدَّهر سُورةَ الإنسانِ

وتعالى هُتافُهم بالتَّسابيحِ
عَذارَى النَّشيدِ والألحانِ

* * *

أنت غذّيتَ كَرمة الفن فاهتزَّ
تْ دوَاليهِ غَضَّةَ الأفْنانِ
وتَراءتْ منها عناقيدُ زهرا
ءُ المجالى بديعةُ الألوانِ
كلما عبَّ طائرُ الفكرِ منها
جنَّحتهُ قوادمُ العُقبانِ
وتعالى مُهيمناً يتلقَّى
حِكمةَ الكونِ منْ أبى الأكوانِ
ثمّ أهوى يَزُقُّ هذِى
الأناسىَّ حديثَ الملائك الربَّانى
فإذا فوقَ كلِّ نَهدٍ من الأرْ
ضِ جلالٌ من روعةِ القُرآنِ

أنت أَنْطقتَ هذه المُقَلَ الخُرْسَ
بما شئتَ من فُنونِ البيانِ
فعيونٌ من البصائر تجتازُ
إلى الرُّوحِ عِصمةَ الأبدانِ
وعيونٌ من الضمائر يَجتزنَ
إلى الحقِّ ضِلةَ الأوثانِ
وعيونٌ من السماء يُهيمنَّ
فيكْلَأْنَ دَفَّةَ الرُّبانِ (١)
وعيونٌ من الثَّرى يتفجرنَ
ففى كلٍّ جنةٍ عَيْنانِ
تَستمِدّانِ منْ مَعينِ أبى القا
سمِ رِيَّ المدلَّه الظَّمآنِ

* * *

أنت أخلصتَ للحياةِ فأخضعتَ
مَلاكَ السماءِ للحيوانِ

(١) الربان : قائد السفينة .

وضمِنتَ الخلودَ بالعمل الصَّا
لحِ فيها لـكلِّ حيٍّ فانِ
وأدرتَ الزّمانَ فى خَلَد التَّا
ريخِ غضَّ العقولِ والأذهانِ
فاستكانتْ زُهْرُ الـكواكبِ
وامتدّت إلى روْضها أكفُّ الجانى
فإذا هنَّ فى السماءِ قُطوفٌ
وإذا هذهِ القُطوفُ دوانِ
وإذا بعدُ ، فوق كل فمٍ منا
بديعٌ من لؤلؤٍ وجُمانِ

* * *

أنت آمنتَ يوم كانتْ محارِ
يبُ يَهوذَا صِفراً من الإيمانِ
فبعثتَ الإسلامَ مُخضوضرَ الْوا
دِى نقىَّ الجيوبِ والأردانِ

وترامى إليكَ منْ كلِّ فجٍ
كلُّ ظمْأى قريحةِ الأجفانِ
فأغثتَ النفوسَ حتى روتْ وا
ردَها جنةٌ بلا رضوان
ومَسحتَ الجفونَ حتى رأتْ خا
لِقَها مقلةٌ بلا إنسانِ
فإذا أنتَ قائلٌ بالغُ الحُجَّةِ
فى قولهِ بغير لسانِ

***

أنت علمتنا تسابيحَ دوِّنَ
بذكراكَ مِلءَ كلِّ مكانِ
تتملّى الأسحارُ منها فيَملأنَ
على الدّهر سمعَ كلِّ زمانِ
رُبَّ صُبحٍ أزلَّ عيْنيكَ عنهُ
بجلالِ التّسْبيح صبحٌ ثانى

يتجلَّى بهِ على اليَقِظ الحيِّ
جَناحانِ مِنكَ خفَّاقانِ
ويُقيمُ الأخلاقَ والعلمَ فى تقو
يم دعواكَ ، كِفَّتَىْ ميزانِ
فإذا وَمْضةُ السماء بعينيْ
كَ تَمدُّ الحياةَ بالخَفَقَانِ

* * *

أنت جدّدتَ شِرعة الخُلُق السَّا
مى ، ونقّيتَها من الأدْرانِ
لم يَنلْ قائمٌ على الحقِّ فى العا
لَم ما نِلْتَ من رِضَى الدَّيّانِ
يارحيماً أشعْتَ فى كلِّ نفسٍ
قَبَسَاتٍ من نوركَ الرَّحمنِ
فرأينا الهُدَى بغير عيونٍ
ووَعَينا الصَّدى بلا آذانِ

ولَمَسْنا بغير أيدٍ أياديكَ
علينا جليلةَ الإحسانِ
فإذا كلُّ عارفٍ نيِّرِ الفكر
مَدِينٌ لهنَّ بالعِرفانِ

***

أنت أشرفتَ من سمائك ربّا
نَ على عَبرتينِ من حرّانِ
عَبرةٌ تستقيكَ من جفْنهِ الذا
وى وأخرَى من قلبهِ الوَلْهانِ
فتهجّدتَ في « حِراء » تُراعيكَ
عيونٌ من السماءِ رواني
ويجولُ الرُّوحُ الأمينُ بعينيك
فيعلوها وميضُ حنانِ
وتفيضانِ من فؤادِك إشفا
قاً على الحقِّ بالنّجيع القاني

وتبثّان للمُهيمن فى العالم
غدرَ الإنسانِ بالإنسانِ

* * *

أنتَ سدّدت بالحصافةِ نهجَ
الفـكرِ فانصاع قيّمَ البُرهانِ
وتعالى بهـا إلى الأفُقِ الأ
على سليل المياه والأطيانِ
ومشى كلُّ صادر عنك فى الصّا
دِينَ ريّانَ عبقرىّ الحانِ
فإذا ابن التُّرابِ يأنفُ أن لا
يتحدّى الأفلاكَ بالدّوَرانِ
وإذا كلُّ معجزٍ يتلقّى
عبقرىّ الخلودِ من « عدنانِ »

* * *

أنت آثرت أن تُقيم على الفقرِ
دِعامَ الرُّقىِّ والعُمرانِ

فلبستَ الأيامَ لم تُزْهَ بالمِعطَفِ
من خزِّها ولا الطيَّلْسانِ
ولمستَ الحصى فتاه على الدُّر
وأزرى بروعةِ المرجانِ
وأثرتَ الهيجاء تعصِفُ بالفُر
س وتجتاحُ هيكلَ الرُّومانِ
يترامى إليك بالنَّصر من
بَيدائِه كلُّ جائعٍ عُرْيان
فإذا بالتُّراب تحت أبى ذرٍّ
مُدِلاًّ على « أبى سُفيانِ »

***

أنت جاهرْتَ بالحقيقةِ والبا
غى على الحقِّ نافذُ السلطانِ
فتنادتْ عوالمُ الأرض : لبَّيكَ
وثابوا إليكَ بالإذْعانِ

وتَداعَى لَديْكَ إيوانُ كِسْرَى
وَهَوى عنه صاحبُ الإيوانِ
بمَ كنتَ المؤمَّلَ الفردَ فى الخلْق
وكنتَ المهيمنَ الرُّوحانى ؟
أَسوى أن بين جنبيك عينين
يرى السكونُ بعضَ ماترَيانِ ؟
تُبصران الحياةَ أَبهاءَ كسرى
تتَداعى على يَدَىْ سَلمانِ ؟
***
أنت أرعيت داعىَ الحق لُبًّا
غير ذى جِنّة ولا خَوّانِ
صفقَتْ روحَه النبيلَ وغذّ
تْهُ يدٌ عبقريّةُ الوجدانِ
أنبتتْ منه فى حدائقها الغُلْ
بِ نخيلاً مُهذّبَ الصِّنوانِ

وأحلّتك من سماه محلّ
اللؤلؤ الرّطب من نحور الغَوانى
ثم فاضتْ به على الـكوْنِ إسلاَ
مًا يمدُّ الوجودَ بالفُرقانِ
فـكأنَّ السماء لم ترَ إلاَّ
كَ مجيراً لها من الخُذْلانِ

***

أنتَ ذخرُ الأحرارِ فى كلّ عصرٍ
ونجىُّ الأبرارِ فى كلِّ آنِ
هـذه الأمةُ التى أنت منها
رزحتْ تحتَ عِبءِ كلِّ هوانِ
يتولَّى سُلطانَها كلُّ جِبتٍ
وتُعانى غرورَ كلِّ أنانى
كلُّ مَن لم يكنْ مكانَكَ منها
ناضلت كفهُ بغير سِنانِ

يالها أُمةً تَقاذَفَها البُؤسُ
ألا عيبَ فى يَدَىْ بَهلَوانِ
تتحرَّى به السماءَ ويجرى
فى شرايينهِ دمُ الشَّيطانِ

***

أنتَ يامُنقذَ العُروبة أنقذتَ
بها العربَ من فمِ الحدثانِ
هاهى اليومَ ، لا لِأحمدَ ينميها
التَّآخى ، ولا إلى قحطانِ
تتردَّى فى هُوَّة الذُّل حتى
لاترى فى الأُنوفِ شُمَّ رِعانِ
عفَّرت بالتراب كلَّ جبينٍ
من عبيدِ العروشِ والتِّيجانِ
نبذَت خلفها رسالتَكَ الغرَّاء
واستَسلَمتْ لعسفِ الجانى

أَنتَ يا مُحكَمَ البيانِ على كلٍّ
فمٍ يَصطفيهِ كلُّ جَنانِ
علّمتَنا صراحةً فيكَ أن نُصلحَ
بينَ الضَّميرِ والإعلانِ
علّمَتَنا أنَّ السِّياسةَ قلبٌ
ولسانٌ ، صِنوانِ مُتّحدانِ
أنَّ مَن جرَّدَ السياسةَ فى
النَّاس عن الدِّين لجَّ فى البُهتانِ
أنّ زعمَ الغبيّ : لا دِينَ للسا
ئسِ فينا ، ضربٌ من الهَذَيانِ
أىُّ نقصٍ فى ساسة الخُلُق الأعلى
بما يَشْرَعون من أديانِ ؟؟

* * *

أنتَ يا واضعَ الموازينِ بالقِسْطِ
لنا ، أنتَ سرُّ كلِّ اتِّزانِ

ما عرفنا الحياةَ لولاكَ إلّا
أنها حَلبةٌ بلا فُرسانِ
وجَهِلنا الحكيم بَعدكَ إلّا
أنه فارسٌ بلا مَيدانِ
والذى يُمسك الأعنّةَ منّا
فرسٌ شامسٌ بغَيْرِ عِنانِ
سائسٌ يَحكُمُ الرعيةَ بالجوعِ
وتأوِى منه إلى مِبطانِ
يا لِذئبٍ : أحدَّ نابَيْه للفتْكِ
بنا أنَّنا من الخِرفانِ

* * *

أنتَ نِعمَ الأمينُ بين يدَىْ ربك
فِينا على كنوزِ الأمانِى
عهِدَتْ سُدَّةُ المُهيمنِ بالحقِّ
إلى كلِّ عاملٍ مُتفانِى

يقمعُ الرِّجزَ فى مُصارعةِ الطُّغيا
نِ ، طُغيانِ هـذهِ الغِربانِ
ولقد كنتَ أوّلَ الناسِ مَعْنِيًّا
بصَفْعِ الوُجوهِ والأعيـانِ
ألألى خلّفوا ، بما هدموا ، صرحَ
المعالى مقوَّضَ الجُدرانِ
عبدوا هيكلاً يهون على مِحْرَا
به أنَّهم منَ العُبـدانِ

* * *

أنتَ لِلقلْب حينَ يُبصر عَينا
نِ ، وللعين إذْ تجُسُّ يدانِ
عاد طِيبُ الإسلام بعدكَ رَيَّا
نَ القواريرِ منْ فمِ الظَّرِبانِ (١)
والألى كنتَ تبعث الجدَّ فيهم
أسلَمُوا أمرَهم إلى مُجّانِ

(١) هو أنتن الحيوانات ريحا .

سائسٌ يُطبق الظلامُ عليـه
فيرى النورَ فى حجور القِيانِ
وإذا أَعْوَزَتْهُ أنشودةُ العَقْلِ
تحرّاه فى بُطون الدِّنانِ
هكذا يَعصِف السَّفاهُ بذى اللبِّ
ويُمنَى الحكيمُ بالحِرمانِ

* * *

أنت آويتَ خائفينا إلى حجر
مِن الأمنِ دافىء الأحضانِ
وتعهّدتَنا بمـا يَخشعُ الـكونُ
له من مَثالثٍ ومَثـانِى
فى محاريبَ يَصدُرُ الوحىُ عنها
عبقرىَّ الرَّوىِّ والأوزانِ
يتنزّلنَ بالفنـونِ فيَنْدَى
كلُّ جفنٍ بهن من « حَسّانِ »

فإذا مَسرح الوُجودِ قصيدٌ
وإذا هـذهِ القصيدُ أغانِ
وإذا الخوضُ فى حقيقة ما تصدُرُ
عنه ، بحـرٌ بلا شُطآنِ

***

أنتَ يا بدعةَ الوجود نرى الجُو
دَ على راحتيك غضّ المجانى
إذْ تجاوزتَ حدّ كل سخىٍّ
غيرِ مستكبرٍ ولا مَنّانِ
أفلا كُنتَ قُدوةً للأُلى
عدُّوا علينا فُتاتَ كلِّ زَوانِ
يُتخمون البطينَ من كلِّ زادٍ
ليكُمُّوا به فمَ الغرْثانِ
لم يَمُدُّوا سِماطَهم لسوى القَنْصِ
ولم يُكرموا سِوى القُرصانِ

أنت يا كوكبَ الضُّيُوفِ سَرَتْ
بعدك حَيرى كواكبُ(١) الضِّيفانِ
كلّما أخلقَ الزّمانُ خُواناً
من كريمٍ جدّدتَ ألفَ خُوانِ
عادَ هـذا المضيفُ بعدكَ مقرو
ر الأثافيِّ آجنَ الغُدْران
يَدّعى الجودَ فيه مَن لم تُؤهّلهُ
له أرْيَحِيّةُ الشُّجعانِ
يَتهاوَى إلى الحضيضِ من القوْ
لِ به كلُّ قائلٍ مِلسانِ
حائراً يَسألُ الترابَ عن
التِّبر وحصباءَهُ عن العُقيانِ

٭٭٭

أنتَ يا ابنَ السماءِ يا وارثَ
الأرض تباركتَ سامىَ العُنوانِ

---

(١) الكواكب جمع كوكبة وهى الجماعة .

قومُك الغاربون أخنَوْا على
الدَّهر بمـا جَلجَلُوا من الأقرانِ
لم يُبالوا ، وهم يَخُطُّون أبكا
رَ المعالى ، صواعقَ الخُرصانِ
ويدورُ الزمانُ دورةَ لا «هيّانَ»(١)
فى سيره ولا « بيّانِ »
فإذا نحن ، والرُّعاةُ رَعاعٌ
هملاً تحت رحمة الذِّئبانِ

***

أيُّها المُعوِزُ الأنامَ على الدَّهر
إلى كلِّ صيِّبٍ هتّان
أنا ذاكَ الحرّانُ ، حُوشِيتَ
والغيثُ على راحتيكَ أن تنسانى
بكَ ياسيدى أعيذُ فَمى الظّامى
إلى الخُلدِ مِن حميمٍ آنِ

(١) يعبر عند العرب عن المجهول بكلمة : هيان بن بيان.

من هوًى لجَّ بي وحصَّ جَناحيَّ
فما تبرحانِ تضطربانِ
كلَّما همَّ بي نذيرٌ منَ العقل
تحاماهُ قاهرٌ نفساني
يامجيرَ الدُّنيا من الهولِ يومَ
الهولِ ، رفقاً بجارك «الحوماني»

١٩٥٢

أحدوثة الأجساد

[من وحي العراق]

٢٦/١٠/٥٣

أحدوثة الأجساد

[من وحى العراق]

القوافِي على ثراكَ تُنادِي :
يا تُراثَ الأبنـاءِ والأحفادِ
أنتَ بالرُّوحِ كائنٌ تَسَعُ الـكونَ
وبالجسْمِ وَمضةٌ من زِنادِ
بَعَثَتْها فى عالم الحسِّ للعينِ ،
بصيصاً ، أُحدوثةُ الأجسادِ
أفـكُنْتَ الإنسانَ ذا الأجل المح
دود من مُنتهًى إلى ميلادِ ؟ ؟
أفأنتَ الإنسانُ تأكلُ ما يأ
كُلُ ، والزادُ عينُ الزادِ ؟ ؟

أَلِهذا الإنسان أن يَنْشُدَ الغيـ
ب فينجابَ عن نبيٍّ هادِ ؟ ؟

* * *

يا سماءً فاضتْ على الأرضِ بالنُّو
ر فكانتْ منابعَ الإرشادِ
كلّما ارفضَّ كوكبٌ هتف المجـ
ـدُ بنا : يا لِمنهلِ الوُرّادِ
مَنْهلٌ يعكُفُ الرُّواةُ عليهِ
بقلوبٍ من الحديدِ صوادِ

* * *

يا أماناً للعينِ من أن ترى الصُّبحَ
بياضاً مجلَّلا بالسَّوادِ
وأماناً للقلب مِن أنْ يرى الحقَّ
صريعاً على يَدَىْ جلّادِ
وأماناً للأُذنِ مِن أن تَعى اللّغْوَ
قَصيداً مهذَّبَ الأنشادِ

وأماناً للنفسِ منْ أن تُردِّيها
الأماني في هُوَّة الإلحادِ

***

جَاجَلتْ هذه المـآذِنُ بالذِّكر
وضجَّ البسيطُ بالأورادِ
هو ذا حادياً يُهيب بنا أنْ
نتحرَّى مناسكَ العُبَّادِ
فنرَى الحقَّ نبرةً في فم الدَّا
عي، ووسْماً في جَبهةِ السَّجَّادِ
ونرَى الخُلدَ قائماً في المحاريبِ
عريقَ الإتْهامِ والإنجادِ
المصير المفضي إليكَ بتبْيا
نٍ بَعيدُ الأغوارِ والأنجادِ
كلَّما شئتُ أن أقولَ بكَ الشعرَ
تهيَّبتُ روعةَ الإنشادِ

يا أبا القاسمِ اسقنى بيدٍ تُملى
على الـكائناتِ بيضَ أيادِ
بيَدٍ لاتَضُمُّ أُنمَلها إلاَّ
على فيضِ حِكمةٍ وسَدادِ
رَصَدتْها من عالَم الحقِّ أيدٍ
نَدِيتْ بالنُّفوس منذُ «إيادٍ»[1]
تتراءى أعلاقُها فى المحا
ريب حَوالى الزُّنود والأجيادِ
يتساءلنَ عن عَباقِرةِ الخُلد
جياعَ القلوب والأكبادِ
فإذا المجدُ فوقَ سُدّتك الحمرا
ءِ ريانَ من دمِ الآبادِ
وإذا الحقُّ فى محاريبكَ الخُضْر
عريقَ الآباءِ والأجدادِ

(١) أحد أعلام العرب فى الجاهلية .

يا أميناً على تُراث أبٍ بَرٍّ
ومُفضٍ به إلى الأولادِ
عقّ فيه البنونَ كلَّ حنانٍ
واستخفُّوا منه بكلِّ جهادِ
ياهواءً تنسمَتْهُ الرياحينُ
وأفضتْ به إلى الأوراد
فنشقنا عِطرَ النُّبوآتِ منه
عبقريَّ الهُواة والروّادِ
وأفضْنَا إلى « مِنًى » نتلقَّى
مِن ثرى طِيبها تُراثَ الضادِ
وطرَقْنا البابَ الذى لم يَزلْ
منذُ بكيناهُ محكمَ الإيصادِ
يومَ حفّتْ بنا ملائكةُ العرْ
شِ وطافتْ بهِ على الأعواد

ثم وَارته فى الثَّرى وقريشٌ
تتنزى دفينةَ الأحقادِ
يستَفِزُّون للنَّكال باهليه
عُتاةَ الأَسافل الأوغادِ
فعلى الواديين «طَيبةَ» «والطفِّ»
دماءٌ من كل حُرٍّ فادى
فى جسوم تَعرَى بغير ظِلالٍ
وجراحٍ تَدَمَّى بغير ضِمادِ

* * *

يا أبا القاسمِ استَوَى بعدكَ الرّا
ئحُ فى كلِّ وجهةٍ والغادِى
لادُعاءُ الدّاعى يَهيبُ بنا أنْ
نَتَشاكى ، ولا حُداء الحادِى
ولِيتَنا حتى الحُثالةُ فى النّا
س ، فلا مُفتدٍ ولا مُتفادى

الطَّريدُ استبدَّ بعدكَ بالحكمِ
وأشلى العبيدَ بالأسيادِ
صفقوا للطَّليق تصفيقةَ الأسْرى
من الطَّير فى يَدَىْ صيَّادِ
خَضَّبوا من دمِ ابن بنتِكَ وجهَ
الأرضِ مستَسْلمين لابنِ «زياد»
ذَنَبٌ يستطيلُ فيهمْ ورأسٌ
قائمٌ فوقَ أسمرٍ ميَّادِ
وكذا كلٌّ مخلصٍ يَنشُد الحق
فيُمنَى من قومهِ بطِرادِ
يا لِرزء الإسلام فيكَ وأسيا
فُكَ لمَّا تُردَّ فى الأغمادِ

***

سنّ مروانُ سنةً لم تزل تُـ
ـلِكُ فيها حواضرٌ وبوادى

جعلَ الدِّينَ والسِّياسة ضِدَّين
شديدَىْ خُصُومةٍ ولِدادِ
غلّ حُكم الفرقانِ فى كلِّ صدرٍ
وأباح السُّلطانَ كلَّ فسادِ
فإذا الكفرُ عاصفٌ من سَمومٍ
وإذا الدِّينُ حفنةٌ من رَمادِ

* * *

يا أبا فاطم مشى بعدك الإسلا
مُ نهبَ القيود والأصفادِ
قُدتَنا مُسلمين فاستسلمتْ دُنيا
الأمانى لنا بغيرِ قِيادِ
يوم غَصّت بنا الفِجاج وضاقت
صَهَواتُ الجياد بالأجوادِ
ثم دار الزّمانُ فاستأسد الذئبُ
وخارتْ فرائصُ الآسادِ

فإذا نحنُ فى أباطحَ تنها
رُ عليها شوامخُ الأطوادِ

* * *

يا أبا فاطم ، تجاهلَ معنا
كَ أناسٌ تحدَّروا من جَمادِ
فاتّهم أنَّ دون بابك باباً
دون أن يلمسوه خرطُ قَتادِ
حاولوا أن يَرَوْكَ بالأعيُنِ الخزر
فأغضوا وحشوها من سُهادِ

* * *

أيُّها الساهرُ المُقلِّب فى الأفقِ
جُفوناً لم تَستكِن لرُقادِ
والمروّى « حِراءَ » عينيه والمُضْنى
عليها ســوابغَ الأبرادِ
والمُضحِّى من ساعدَيهِ وخدَّيهِ
لأحجارها أعزَّ وســادِ

والمُغذِّى سُفوحَها وأعاليها
بآهاتِ فكرِه الوقّادِ
أيُّها المستحيلُ فى كلِّ مايُبديه
حتى كأنَّه كلٌّ بادِ
كلٌّ ماجال فى سَريرتكَ العَصما
ءِ فى كلِّ أُذنٍ شادِ
وعلى كلِّ مُقلةٍ منكَ نورٌ
كاشفٌ عن ضياءِ كلِّ زنادِ

* * *

أنت سرُّ الحياةِ فى وَحْدَة الأ
ضدادِ أو فى تباينِ الأضدادِ
قمتَ فرداً وكان فرقانُك الخا
لدُ ، عُنوانَ وَحدة الأفرادِ
والأُلى آزروك واستمذَبُوا الوأ
دَ ودقَّ الأكفٌ بالأوتاد

مِن عَليٍّ وحمزةٍ وأبى حفصةَ
والفارسىّ والمِقـــدادِ
سمّروا دونكَ الجباهَ وباتُوا
لعوادى الزّمانِ بالمرصادِ
عَضَّدوا ساعدَيْك فى كل رُزْءٍ
هدّ منهم وفتّ فى الأعضادِ
لم يُبالوا ، وهم حِيالَك ، أن تَهزمَ
فيهم صواعقُ الأجنادِ
تَخِذوا من هواكَ أمْضَى سِلاحٍ
ومِنَ الوجْدِ فيكَ خيرَ عتادِ

***

أيها المستطيلُ ، زادك طَوْلاً
كلُّ باغٍ فى غَيّه مُتمادِى
أنتَ فى النجد إن صعِدتُ إلى النجد
وفى الوادِ إن هَبطتُ الوادى

أنت فجرُ النُّورِ المغلغلِ في الـكونِ
ومَدُّ البحورِ بالأزبادِ
وأنا الظّامئ الذي لا يرى إلاّ
على راحتيكَ رِيَّ الصادي

الناصرية العراق ٢٦/١٠/٥٣

عصب الأيام

[من وحي العراق]
١/١٢/٥٣

عصب الأيام

[من وحى العراق]

أنتِ أمنيّتى ، وأنتِ خيالى
يا تُراث الأعمامِ والأخوالِ
ألصَقَتْنى بك اللّيالى وما
أغمضتُ جفنىَّ غيرَ بضع ليالِ
أنتِ كل الجمال فى كل
مايبهر عينىَّ من جديدٍ حال
كلَّ يوم أخلو إليك بألا
مى مطلاً عليكِ من آمالى
أبدعتكِ الأجيال أغرُودةً
تُملى أناشيدَها على الأجيالِ

يامجالى الفسيحَ مِن أملى الغضّ
ومَرعاىَ فى شبابى الغالِى
أنتِ علمتنى الهوى يومَ صفّقت
أمانىَّ فى ذُرى عِرزالى
فاعتنقنا تحت النجوم وللبدرِ
عليهنَّ صولة المختالِ

* * *

ياصباحى الضحوكَ فى ظل نُعما
ىَ ولحنى الباكى على أطلالى
كنتِ لى دُرةً أزين بهـا
تاجى فأُزهىَ به على الأقيالِ
مثّلتك الفنونُ فى المنظر
الأعلى بديعاً من عسجدٍ ولآلِ
كلما صُغتُ مخنقاً ذهبتْ
فيه معانيكِ مذهبَ الأمثالِ

وطوت كلَّ حقبة فى ثنايا
ها وِضاءَ البُكورِ والآصالِ
سوفَ تَبقى ذكراكِ فى العَصَب
الحى حديثَ الملوكِ والأبطالِ
وستبقى ذِكراىَ فى عَصَب الأيام
نجوى القيودِ والأغلالِ

* * *

أنا هذا المكلوءُ بالعالم الأ
على ، وهذا المخلوقُ من صَلصالِ
أنا هـذا الذى تحيَّر فى كونى
بُناةُ الآبادِ والآزالِ
أنا هذا الجزوعُ من حُمةِ العقربِ
والمستخفُّ بالآجالِ
أنا هذا الإنسان يَنسِك فى
مِحرابه أو ينسُّ فى الأدغالِ

أغرَبتْ أمُّه الطبيعةُ فانجا
ب غريبَ الأطوار والأشكالِ
يالِثوبِ الملاكِ تَضفو حواشيه
على جسم ثعلبٍ مُحتالِ
ساوَرتنى مظنّة ، لطفَكَ اللّهُمّ
فى غَولها وفى إيغالى
لم تَزَعْنى يارّب حكمةُ لُقما
نَ ولم تنجُ بى أمالى القالى
أدب يستخفّنى من أمالٍّ
جنونٍ إلى جنونِ أمالى
عاطفىٌّ من غير عطفٍ وعقلىٌّ
خوى نجمه بغير عِقالِ

* * *

ربِّ يارّبِّ ، أين مِن ظمأى
عَذبُ نداكَ المصفّق السّلسالِ

أفأدعو وأنتَ ربِّي فتُغضى
عن دُعائى ولا تجيبُ سؤالى ؟
أم أناجى أبا التبولِ بما يَشعر
قلبى ، ولا أكونُ مُغالى
أتُرى نسيجه بيدٍ تُملى
على الكون أبدعَ الأنوالِ
فأحيلُ الزمانَ أطرفَ مايكسو
جديداً من أخلق الأسمالِ
فإذا كلُّ حاذقِ اليدِ من حا
كتهِ ناسجٌ على مِنوالى

* * *

يا أبا الرُّسلِ ، بُردَتى لكَ لا
الهندُ تَعِيها ولا بلادُ الغالِ
كلُّ سِلكٍ من نسج ما أنا مُهدِ
لكَ مُزرٍ بالحائكِ الختَّالِ

الذى يُوهم الظِّماء وقد أشفت
على الهُلك ، رِيَّها فى الآلِ
وإذا أنشدَ القصيدَ حسبتَ
الصخرَ ينهارُ من أعالى الجبالِ
لايُبالى أفى الحضيضِ مُبالٍ
يتّقيه ، أم مثلُه لايُبالى ؟؟
لايُبالى ، أكان إحدى أغانى
الخلدِ ، أم كان عُرضةً للزَّوالِ ؟

***

يا أبا الرُّسل ، أنتَ أحكمتَ فى
نَفْسى موازينَ هذِهِ الأثقالِ
فثقيلٌ يُعْيِي الموازينَ قَيْسًا
وثقيلٌ يقاس بالمِثقالِ
سيدى يا أبا البَتُول أبا القاسمِ
جَدَّ الأئمـة الأبدال !

سيدى : ما أقولُ عنكَ ؟ وأنَّى
يستوى فيك منطق ومَقالِى ؟
المجالاتُ رحبةٌ فيكَ لكنّ
لسانى يَضيقُ بالتَّجوالِ
أين مِن عقلىَ الحبيسِ على الحسِّ
انطلاقٌ فى روحِك الجوّالِ ؟
أنا فى ذمّةِ الحضيض أعانى
هَيَمانى بروحكَ المُتعالى
أنا فوقَ الرمضاء تنشُدُ رُوحى
رِىَّ لاناهلٍ ولا علاَّلِ
* * *
يا أبا القاسمِ ابْغنى عاملاً يُملى
على الخَلْق روعةَ العُمالِ
أنتَ ياملهمَ النخيلِ وأزهارَ
الرُّبى عبقريةَ العسَّالِ

عَلَّمَتْنا يداكَ كيف تذرُّ
الصفحَ فى عُنجُهيّةِ المختالِ
عَلّمتنا أن نَجبهَ الدهْرَ حتى
يتوارَى والكونَ فى فِنجالِ
وأدرْنا عليهِ ذكراكَ حتى
كانَ منها كالساقِ فى الخَلخَالِ
كم تَسامى إليك فى عِزهِ
ليثُ عرينٍ معوّذِ الأشبالِ
فتداعتْ قوائمُ العرشِ منهُ
وَهَوَى عن كثيبهِ المنهالِ
عظُمتْ هذه الزلازلُ مُذْ كنتَ
يَصلنَ الزِّلزالَ بالزِّلزالِ
بعضُها حَطَّ من غُرور «أَبرْوِيز»
وبعضٌ من عَسفِ «هانيبالِ»

أنتَ يابهجةَ الجمالِ تبنّتْها
يدٌ من بديع كلِّ جمالِ
أنتَ هـذا الجلالُ يزخَرُ بالنو
رِ علينا من فيضِ كلِّ جَلالِ
أنتَ ماشئتَ من أمانٍ وإيما
نٍ يقينا من وحشةٍ وضلالِ
كانَ هـذا الوجودُ أسوأَ ما كا
نَ على فترةٍ من الانتقالِ
فبعثتَ الحياةَ فى جسمه الميْتِ
وكنتَ المِثالَ للمَثّالِ
كنتَ للفنّ رأسه الشامخَ الحىَّ
وللعلم رأسَ كلِّ شِمالِ
كنتَ مِن كلِّ كائنٍ حُلماً يقْضى
على كلِّ مُفترٍ دجّالِ

يا أبا القاسم ادّكرنى فإنى
من جَلال الذِّكرى بكل مَجالِ
أنا فى يقظتى وفى حُلمى أذ
كرُ مافيكَ من كريم الخصالِ
فأُروّى قلوبَ من فقهوا الحقَّ
بذكراكَ من نمير زُلالِ
أيُّها ذا الطبيبُ هلاًّ طريقٌ
منكَ يُفضى بنا إلى الإبْلالِ ؟ ؟
قُمْ أبا القاسم الأمينَ على الحقِّ
وأنقِذْهُ مِنْ يدِ المُغْتالِ
إن أبناءكَ الذين تبنّتْهم
حُماةُ المثقّف العَسّالِ
وقَفُوا والوُلاةُ بين يَدَيهم
يتبارَوْنَ فِى اقتناصِ المالِ

العراق ١/١٢/٥٣

طوبى

[من وحى القاهرة]

وقد ضج الناس من تهتك الحكام

طُوبى[1]

حسبُ عينيكِ أن أَظَلَّ غريبا
أسترقُّ الغرامَ والتشبيبا
حائرَ المقلتينِ فى كل أفقٍ
أتملّى كُوباً وأُهرِق كوبا

***

كنتِ لى زهرةً يضنُّ بها الفجرُ
على الخافقينِ لوناً وطيبا
كيف لى أن أذودَ بعدكِ عن
عينيَّ هذا المقدَّرَ المكتوبا
سهراً دائماً ودمعاً على كلِّ
فمٍ سالَ رقةً ونسيبا

أنتِ أجريتهِ دماً يتحرّى
خلْفَه كلُّ شاعرٍ أُسلوبا
يَنشُدُ الشِّعر فى فمٍ يتلقّى
من معانيكِ فنَّه الموْهوبا
كلّما ذاقَ لحنَهُ دمُ حرّانَ
تنزّى إلى السماء لَهيبا
وتولّى تصفيق كل نسيمٍ
يتصبّى عليلُهُ العَنْدَليبا
ويُوَشِّى حواشىَ الرّوضِ بالطَّلّ
كما وشَّعَ الشَّبابُ الشِّيبا
ويزُقُّ البراعمَ الحُوَّ فيه
لؤلؤاً من فم الصَّباحِ رطيبا
فإذا كلُّ حاضنٍ من شقيقٍ
يتبنّى من الرّباب ربيبا

حمّليني من زَهو ِ حبّك ِ ما أجلُو
عليه خيـالك ِ المحبوبَا
فأرى فى الظّلام ما لا يَرى الصُّبحُ
فمـّا حالِماً ودمعاً خَضيبَا
يسترقّان كلَّ قلب ٍ ، فمـا أسمع
إلاّ تأوُّهاً وَوَجيبـا

***

أطلقيني فمـا تبيَّنتُ إلاّ
بينَ عينيكِ سرى المحجوبَا
أنبأتني به غلائلُكِ الحمرُ
شُروقاً والذكرياتُ غروبَا
لـكأنّي فى عين ِ «حوّاء» شمسٌ
مَشرِقاً تارةً وطوراً مَغيبَا
فإذا أشرقَتْ رأيتُ جَبيني
فلقاً بابْتسامهـا مَخضُوبَا

وإذا أغربتْ رأيتُ دموعى
شفقاً فى جَبينها مَعصُوبَا

***

أَفَأَبقى ياهذهِ بك حَيرا
نَ شبابٍ لمَّا يزل مشبوباَ ؟؟
تسأليني عُنف الغرام فأُغضى
وبرَغمى أنْ لا أكونَ مُجيباَ
الثَّلاثونَ أعْلقَتْ بىَ عينيكِ
وكنتُ المحبَّبَ المطلوبا
أَوَ بعدَ الخميسينَ تَنشُد صهباء
حُميّاكِ فى عروق دبيبا ؟؟
مافقدتُ الشبابَ فيكِ ولكنى
لستُ الشَّبابَ فى أنْ أشِيباَ
مااستغلّ الهوى شبابى لأيّا
مِك إلاّ لِأستغلَّ المشِيباَ

الهوى فضّ ناظرىَّ فأبْصَرتُ
بَعيدَ الحياة منى قَريباَ
ورأيتُ الدُّنيا مصائبَ تَزْكُو
وأمانىَّ تَستحيلُ ذُنوباَ

***

رَبِّ رحماكَ ، ماوجدتُ لما
يَعصِبُ دائى سِوى رضاكَ طبيباَ
أنا يارَبِّ عبدك المتجنِّى
حَمَلاً تارةً وطوراً ذِيباَ
أفلا يستردُّ عبدُكَ بالصَّبرِ
على الضَّيمِ نومه المسْلوَباَ ؟؟
رَبِّ يارَبِّ لستُ أملكُ فى
أُخراىَ إلاَّ التوبيخَ والتَّأْنيباَ
فى يمينى أُنشودةٌ أتغنَّى
وأُغنِّى بهـا الحُداةَ النيِّبا

قوةٌ تشحن السماءُ بهـا
الأرضَ شفاهاً وأعيناً وقلوباَ
فإذا أحمـــدٌ يُطلُّ علينـا
ضَرَماً فى كيانها مَشْبُوباَ

***

أنتَ ياأيهـا المعلمُ علّمتَ
فمى أنْ يذوقَ حتى يَطيباَ
أنْ يذوقَ الذِّكرى فينعمَ بالطِّيب
على فيكَ شاعراً وخَطيباَ
أنْ يذوقَ الحياة أروعَ ماَ
تحفل بالفنِّ آهِلاً وغَرِيباَ
تارةً تبعثُ الفنون تباريحَ
وطوراً تزفُّهـا تَطْريباَ
فإذا هُنَّ فى فم الدَّهرِ تسْ
بيحاً وفى كِبريائِه تَهذيباَ

أنتَ هذا الذى دَعا الفِكرَ أنْ
يبحث فينَا ويُمعِنَ التَّنْقِيبَا
فيرَى اللهَ كيفَ يَجلو فمَ الحىِّ
ويعلو جبينَهُ تَقْطِيبـــا
كيفَ يَبْيَضُّ شعرُه قبلَ الشيْ
بِ ويكسوهُ فى الصِّبا غِربيبا
كيف ينشقُّ عن حَصاتَى عِرقٍ
أتولاَّهُ سائلاً ومُجيبـــا
أسأَلُ العينَ عنْ بَصيرتِهاَ
كيفَ تُريني إنْسانَهـا مَقْلُوبًا ؟
رأسُه فى السَّحابِ وهو على ما
لاترَى العينُ فى الحضيض تَرِيبَا
وتُرينى بَدائعَ الحىِّ أفْنا
نًا وما تُبْدِع الحياةُ ضُروبًا

وتُربِنى حتى الفضيلةَ أحْيا
نًا تَراءى فى ناظرىَّ عُيوبَا

* * *

أنتَ علَّمتنا بوعْيك أن نَنْشُد
أحلامَنا ، وأنْ لانخيبا
نخلعْنا ثوبَ الجهالةِ رَثًّا
ولبسنا ثوبَ الخلودِ قَشيبَا
وصعِدنا غُرَّ المنى فشَقَقْنَا
للمجلِّينَ فى الحياةِ دُروبَا
فإذا الكونُ زاخرا بالألِبَّاء
دماً فائراً وفكراً خصيباً

* * *

أنتَ يامَشرقَ الشموس أمِنّا
بك شمسَ الحياةِ أنْ لاتَغيبَا
فكشفنا بها عن الحقِّ مايعلو
مُحيّاهُ رِقةً وشُحوبَا

ومَشَيْنا حتى تَتطاولتِ الشُّهبُ
إلينا وما شَكَوْنا لغُوبَا
وصعِدنا لم نتَّخذ ذا جَناحَيْن
وَلا مِنْ ذوات ظِلفٍ رَكوبَا
فإذا نحنُ والملائكُ رُوحٌ
تتجلَّى والله يَهتِفُ : طُوبَى

* * *

يا أبا الرَّحمةِ التي مُنِيَ الكونُ
بأرجاسِه فكانتْ ذَنوبَا(١)
رَفَعتنى إليك ياسَيِّدِى نفسٌ
تمادتْ فى غيِّها تثْريبَا
أورَدَتنى الحُطامَ فى هذهِ
الدُّنيا وقالتْ لكاهلِيَّ : أهِيبَا
ياحبيباً إلىَّ فى كلِّ ما أرْجُو
وَيرجُو المحبُّ فيهِ الحَبيبَا

(١) الذنوب بفتح الذال : دلو الماء .

190

لم يدعْ لى حُسبانُ ما أنا لا

قيهِ رَجاءٌ مالمْ تـكنْ لى حَسِيبه

القاهرة كانون ثانى ١٩٥١

ذو الفقار

[من وحي لبنان]

١٩٤٧

ذو الفقار

[أنشدت فى حلب لذكرى
سيد العالم محمد ١٩٥٠]

الربيعُ الحبيبُ أنْ نَستَعِيدَا
يومَ ذِكراكَ كلَّ عامٍ عيدَا
والشبابُ الذى يجدّد ذكْرا
كَ يحيِّى بِذكرك التَّجدِيدَا
لكَ فى مِصرَ والشَّآمَ وبغدا
دَ وصنعاءَ أمّةٌ لن تَبيدَا
أمةٌ تَنْشُد الحياةَ وَتأبى
فى طريقِ الحياةِ إلاَّ صُمُودَا
غاضَ فيها مَجدُ الجدود ولـكنْ
لم يَفُتْها التُّراثُ بأساً وَجُودَا

وَلئنْ سالَ جُرحُه فَسَتَمْحُو
بدماءِ القُلوبِ عنهُ الصَّديدَا
وَستَبكى حتى ترى مِن خِلالِ
الأدْمُعِ الحُمرِ عزَّها المفقُودَا

* * *

سيدَ العربِ! قم وسجِّل على العرب
قِياماً على الأذى وَقُعُودَا
أخْلقَتهم عواملُ الشِّركِ فانْهَضْ
بالمواضى وجدِّدِ التَّوحِيدَا
عُدْ إليهمْ وَلوْ على غيرِ وَعْدٍ
وتعهَّدْ مَقامكَ المحُمودَا
هل تراهمُ كما عهدتَ مَغاو
يرَ يَحُدُّون بالجيادِ البِيدَا ؟؟
يتغنَّوْنَ باسمكَ العذْب فى الرَّو
عِ ويَستَلْهمونَكَ التَّغْرِيدَا ؟

الجفونُ اللآتى عهدتَ بها الأ
سيافَ بيضاً قد استحالتْ سُودَا
والقلوبُ اللآتى يُؤرِّثها البأسُ
ضراماً قد استحالت جَليدَا
عُد لعلَّ الأغمادَ تَلفِظُ مافيها
وأحرارَنا تفكُّ القُيودَا
ولعلَّ العبيدَ تزهدُ بالرِّقَ
وتختارُ غيره مَعبُودَا
ياأبا المرسَلين حَسبكَ أنَّا
قدْ ضَرَعْنا للسَّامرىِّ خدُودَا
لاتفُاخِرْ بنا، فما نحنُ إلاَّ
خَوَلٌ، يَعبدونَ حتى العَبيدَا
لو أُعيدَ الحُسينُ فينا لما كا
نَ سليلُ الحُسينِ إلاَّ يَزيدا

قومُك المسلمونَ والعربُ الأ
قحاحُ بذُّوا بما أتوه ثمودَا
خَذلوا ربَّهم وكانوا مع الحقِّ
أناسيَّ فاستحالوا قُرودَا

***

كم زعيمٍ يزلزل الأرض إنْ
شَقْشَقَ بالقوْل طاغياً عِربيدَا
تحسَبُ اللَّيثَ جاعراً بيْنَ شِد
قَيْهِ، وعيناه تقذفانِ الوَقُودَا
وكأن الزلزالَ أشرفَ من قِمَّة
« صِنِّينَ » قاذفاً جُلمودَا
وإذا مابلوتَه فاتَكَ الليثُ
وأبصرتَ ثعلباً رِعدِيدَا
يَمهرُ المنصِبَ المحبَّب أيماناً
غلاظاً مِنْ لغوهِ وَوُعُودَا

وإذا نصّ فوقه بعثَ الخزىَ
به كلَّ لحظـة نمرودَا
* * *
يا أبا القاسمِ استبدَّ بنا الحزنُ
وأدْمى جُفوننا تَسْهيدَا
كم مَشَينا على الوَقيد حُفاةً
نَتَبارَى إلى السماءِ صُعُودَا
ثُمَّ هانتْ نفوسُنا فنَسِينا
تحتَ وطْءِ الهوانِ ذاكَ الوَقيدَا
وَتَوالتْ سودُ الخُطوبِ علينا
فصغُرنا حتى صغرنا اليَهُودَا
* * *
قم أبا القاسمِ المشفَّعَ فينا
وانشدِ الحقَّ مُبدِئاً لامُعيدَا
عادَ أهلوكَ صاغرينَ فما
تبصرَ إلاَّ المخنَّثَ العبيدِيدَا

كلَّما ضجَّتِ المنابرُ خرُّوا
للطواغيت رُكَّعاً وَسُجودَا
يَسْتَغيثون بالحديدِ(١) وما كانَ
سِوى الحقِّ لو وعوهُ، الحديدَا
هلْ أفادَ الحديدُ فى «بَدرَ» لولا
أَن من «حَيدرٍ» عليه رَصيدَا
لم يكنْ ذُو الفِقار قُدَّ من الصُّلبِ
ولـكنْ مِنْ بأسهِ مَقْدُودَا
إنَّ إيمانَ «أحمدٍ» كان إذ برَّز
فى جيد «حيدرٍ» إقليدَا
لم يكنْ بينهُ وبين ظُهور الشِّركِ
إلا إيمـانُه أسدودَا
دكَّ «عمراً»(٢) فدكَّ أرسخَ طودٍ
بَسَطَ الشِّركُ ظلَّه الممدُودَا

(١) إشارة إلى أن ملوك العرب وقادتهم الخونة تذرعوا بعدم السلاح لدى انهزامهم فى فلسطين .
(٢) هو عمرو ابن عبد ود بطل يوم الاحزاب .

هكذا تَعصفُ العَقيدةُ بالكُفرِ
ويَبْقى لِواؤُها معقُودًا
وتَزُولَ الدُّنيا وَيبقَى الدَّمُ
الحقُّ على كلٍّ لَبَّة مَنْضُودَا

العالم المسحور

[من وحى القاهرة]
٢٠/٢/٥٤

العالم المسحور

أيام كان لسكريم ثابت اليد العليا فى إدارة الملك

كنتِ لى دُميةً وكنتُ غريراً

أتملاّكِ فى الحياةِ حُبوراً

نَرد الفجرَ هائمَين فنجلو

هُ على الرّوضِ أعيناً وثُغوراً

كنتُ فيه الغصنَ الذى شاق

عينيكِ وغرّدتِ فوقَهُ عُصفوراً

أَتَلهّى بالطلِّ فى فيكِ منظو

ماً ، وفى الزّهر لُؤلؤاً منْثوراً

***

أتصبّاكِ فى الخميلةِ ظِلاً

وعلى موكبِ الصّباحِ عَبيراً

وتَقِيني لَفْحَ الهجيرِ بِعَيْنَيْنِ
تَفيضانِ بي عليكِ هَجيرا
كُنتِ أغرودةً تَهيمُ بهـا رُو
حي وأَعْيا بِلَحْنِها تَصْويرا
كلَّما هَيْنَمَ النَّسيمُ تخيَّلتُكِ
في صدْرِه قصائدَ حُورَا
زقَّها خاطِرى الصَّباحَ فأملا
ها على الخافِقَيْنِ ناراً ونُورا
فتجَلَّتْ في كلِّ عينٍ أحاجيَّ
وفي كلِّ مَنْطقٍ تعْبيرا
فإذا الشَّاعرُ المحلِّق لايَمْلكُ
إلاَّ على يديكِ شُعورَا

* * *

كنتِ تِربي وكنتُ تربكِ يوماً
تصْطفيني وأصْطفيكِ عَشِيراَ

ويشبُّ الهوى وما برحَ الرّوْ
ضُ يَعينا صغيرةً وصغيرا
ثم نَصْحُو فيَسْتَقِلُّ بنا همُّ
اللّيالى كبيرةً وكَبيرا
ذكّرينى تلكَ اللّيالى فما كنتُ
لِأَجْفُوَ أو أجحدَ التّذكيرا
ذكّرينى «لبنانَ» والشفقَ الضّا
فى عليه ، والعالمَ المسْحورا
ذكّرينى بيروتَ «والبَصْطةَ»[1]
الغنّاءَ فيها ، وذكّرينى «الصُّورا»
يومَ كنّا نَطوى السماءَ على
الأرض فتندَى أهلّةً وبُدورا

***

ياشبابى القاسى العنيفَ ألا
تُسعف بالرفق شيبىَ الموتُورا

---

(١) البصطة والصور : مكانان فى بيروت .

كيفَ أستقبلُ الحياةَ وما كنتُ
بما يُسلفُ الحياةَ جديرَا
لم يزلْ صُبْحك المموَّهُ يبدو
لى على كلِّ شارقٍ ديجورَا
حمَّلتنى دنياكَ مالم أكدْ
أكشفُ عنى حجابَه المستورَا
كم تلفَّتُّ أستبينُ طريقى
وأطلتُ الإمعانَ والتَّفكيرَا
فإذا «طَيبةٌ» تلوح لعينىَّ
وجبريلُها إلىَّ مُشيرا

* * *

أيُّها ذَا الرُّوحُ الأمينُ تنزَّلتَ
ولمَّا ينفخ أخوكَ الصُّورَا
شئتَ أن لاترى خليلكَ إلاَّ
عَلَماً فوقَ أرضِنا منْشورَا

فوردتَ البسيط تهْبطُ آفا
قاً إليْنا وتستقِلُّ أثيرا
وتمثّلتَ «دِحيةَ الكلب»(١) روحاً
آدميًّا وهيكلاً مَنظورا
باعثاً فى كِيانِ أحمدَ مِن رُو
حكَ فِينا مبشِّراً ونذيرا

✲ ✲ ✲

أيُّها الراقدُ المعفِّر بالتُّر
بِ جبيناً يُبارك التَّعفيرا
ليسَ قبراً هـذا الذى ضمَّ جُثما
نَكَ ، واحتلَّ صدرَكَ المعْمُورا
إنمـا أنتَ كائنٌ ، كلُّ كونٍ
يَتوارَى فى صَدْره مقبُوراً
أنتَ ياباعثَ الحياةِ منَ المو
تِ وكاسٍ خدودَها تَصعيرا

(١) هو رجل عربى كان يهبط جبريل بالوحى على شكله .

أنتَ أخلقتَ كلَّ ثوبٍ وأ
ضْفَيْتَ عليه التَّجديدَ والتَّعميرَا
فالجديدُ الجديدُ مامَتَّ بالذو
قِ إلى أن تقولَ أو أنْ تُشيرَا
والعتيقُ العتيقُ مالم ينلْ مِنْ
رَاحتيكَ التَّحبير والتَّحويرا

☆☆☆

كأنُّنا يَنشُد الطَّرِيفَ ولكنْ
مِن يَراعٍ يُمارس التَّزويرَا
ويَعيبُ التَّليدَ من قلمٍ يُملى
عليهِ الحديثَ والتَّفسيرَا
يَحْسَبُ الجاهليَّ أعرقَ سَبقًا
ويرى فى « مُحمَّدٍ » تَأْخيرَا
وكذا يُبصر الحَنيفيَّةَ السمحةَ
زَيفًا وكُفرَها إكسيرَا

ألفُ عامٍ تمر بالغَضِّ تُبليهِ
وألفانِ أبقْتاهُ نَضِيرًا ؟

***

أيُّها ذا الرَّجعِيُّ ما أنبلَ الرُّجعى
إباءً وعِزةً وظُهورًا
أدبُ النَّفس يَعصِمُ المرءَ مِنْ أنْ
يتردَّى تصلُّفًا وَغُرورًا
أدبٌ تأكلُ الحياةُ عليهِ
من لُبابِ الخُلودِ حتى القُشُورًا
أدبٌ تَعكفُ البُناةُ عليهِ
ليسَ خمّارةً ولا ماخُورًا
أدبٌ علَّ من معين أبي « فا
طمَ » فارفضَّ من يديهِ نميرًا
وأعلَّ الجديبَ من كلِّ أرضٍ
فرستْ أروسًا وخفَّت صُدُورًا

عِبَرٌ غُصنَ فى التُّخُوم أخادِيدَ
وحلّقنَ فى السماء نُسورَا
عِبَرٌ لاتزالُ تعصفُ بالشّركِ
وثُوبًا ، وصوْلةً ، وَزَئِيرَا

***

يا أبا البِكر من عَباقرة الدُّنيا
تباركتَ مَنشأً ومَصِيرَا
وثَبَاتُ الإسلامِ أبعدُ شأوًا
بكَ فى هَدْينا وأحكمُ شُورى
عزّزتها يداكَ بالفَلَق الوضّا
ءِ يُذكى نارًا ويَحطِم نِيرَا
واستفزّت ظُباتُها كلَّ عُربا
نَ كَستهُ الخلودَ والتّحريرَا
أنتَ أسلوبىَ الذى يَعكفُ
الفنُّ عليهِ ويُلهِبُ الجمهورَا

فإذا بالأكفِّ تعصِف هُوجاً
وغُلاةُ العيون ترمق عورَا

لهب الحِسِّ أغمضَ العينَ فى القلْب
فما تُبصر العيونُ بَصيرَا

وتَكادُ اللحاظُ تأكلُ من قال
وتَطويه فى القُلوب سَعيرَا

كلُّهم يَهتِفُون باسمكَ مُضفِينَ
عليهِ التهليلَ والتَّكبيرَا

***

أنت سرُّ الحياةِ أدْرَكه «عيسى»
وناجَى به «الكليمُ» الطورَا

أيُّها الثائر الذى هام بالعزِّ
فكانَ المؤزَّرَ المنْصُورَا

وترَكْتَ الدُّنيا فثُرتَ وماَ
زلتَ إلى الحشْر ثائراً موْتورَا

كلّما ذرّ للغَواية قَرنٌ
مسّ كَفيْكَ فانثنى مكْسورًا
جيشُك اللّجبُ من سماء وأرض
لم يزلْ فى حشا الزّمانِ مُغيرًا
يتحرّى طاغوتَ كلِّ زَنيمٍ
سادَ فيناَ زُوراً وأعرقَ زيرًا
يتولى نهارَنا مالكَ الأمرِ
ويجتاز ليله مخمورا

***

يا أبا الحقِّ لم يَقُم بعدكَ الحقُّ
على ماتحبُّ إلاّ يَسيرًا
عبِثَتْ بالتُّراثِ بعدكَ أيدٍ
لم تزُكِّ البطونُ منها الظُّهورًا
نَبذَتْ محكمَ الكِتابِ وأذْلتْ
ببنانٍ يصافحُ الطُّنبُورًا

يالِقوم ٍ تآمرُوا فزوَوْا كلّ
أميرٍ وأمّرُوا السِّكّيرَا
أمّروا المـارِقينَ فانقضّ منهمْ
كلُّ خِبٍّ على أخيهِ أميرَ

***

ياقديمـاً أحَدّ عينىّ بالنّو
رِ فما تُبصران إلاّ مُنيرَا
شئتَ فرْضَ الإسْلام ِفينا جَليلاً
فأبَيْنا الإسلامَ إلاّ حَقِيرَا
لم نحقّر تُراثكَ الحىّ لكنّا
ألِفْنَا الهوانَ والتّحِقيرا
فمشَيْنا مُسخّرينَ وما كُنّا
لنحىَ أو نفرِضَ التّسْخيرَا

القاهرة ٢٠/٢/٥١

انجيل جديد

[من وحى مصر الجديدة]
٥١/٤/٧

انجيل جديد

[من وحى مصر الجديدة] ٧/٤/٥١

وقد شاع أن بعض الفقهاء أثبت أن الملك من نسل رسول الله عن طريق أمه

سبح الفنّ شاعرٌ بكِ جيلاَ
ينشدُ الشعرَ بكرةً وأصيلا

أنتِ رَوْضى وأنتِ أنتِ الفمُ
الحائرُ فى كلِّ زهرةٍ تقبيلا

والمعانى اللاتى تفيضُ بهـا رو
حى تجلَّتْ فى ناظِرَيْكِ ذُبولا

وتمشت فى ناظرىّ دماً أنبت
فى فيكِ نرجساً مطلولا

هُنّ روّينَ من شفاهِكِ جفنىّ
وأظمأنَ خصرَكِ المجْدولا

هن أنضرنَ وجنتيكِ فأضفينَ
على الصُّبحِ منهما إكليلا
هن أرهقنَ مقلتيكِ فما انفكَّ
دمٌ في شباهما مَطْلولا
هُنّ أبرزنَ من شفاهِكِ خطَّينِ
يضمَّانِ سِرِّىَ المجْهولا
هن أشرفنَ من سمائك أرْوا
حاً وأسففْنَ في ثراكِ عقولا

* * *

ألْصَقْنى بفيكِ نشوةُ محمومٍ
ترامى على يديْكِ دخيلا
يَنشدُ الروحَ مِن بنانِكِ عِطْرًا
وعلى ناظِريْكِ ظِلاً ظَليلا
ويناجيكِ، وهو يهتِفُ بالشِّعر،
فينجابُ عن علاه ذَلولا

فإذا أنتِ من قصائِدِه الغر
وُرودًا وجدْولاً وخميلا
وإذا هنّ بينَ جنبيَّ وقدٌ
يتلظى شوْقًا ويذْكو غلِيلا

***

أيهـا الهائمُ الموزِّعُ عينَيْهِ
على كلِّ بقْعةٍ قنديلا
أين تمضى ، وَقد أناخ بكَ الشيْبُ
وأخنى على الشبابِ أُفولا
الشبابُ الذى أجزت به الشَّر
قَ تلقاكَ فى المَغيبِ فُضُولا
والظَّلامُ الرهيبُ عصّبَ عينَيْكَ
فأبصرتَ كلَّ شىء غُولا
أفلا تَنشُدُ الحقيقةَ فيما
تتحرّى وتطلُبُ المَعْقُولا ؟ ؟

غيرَ هَذى الحياةِ حاولْ وحاولْ
خير ماحبَّرتْ يدٌ تسْجيلا
هـذِهِ قِمّةُ الزّمان فطالِع
فى ذُراها تاريخكَ المجْهولا
هلْ ترى غيرَ أحمدٍ بلَغ الذّروةَ
منها مُظَفَّراً مأمولا ؟؟
قمّةُ الدّينِ كم تطاوَلَ فاندكّ
بهـا كلُّ طامعٍ مشلولا
لم يضِقْ صدرُه بذاك ولـكنّ
تمـادِيه ردّه مسْلولا

❊❊❊

ياسماءً لـمـا يَزلْ يبعَثُ الرّوحُ
بهـا مايجدِّدُ « الإنجيلا »
ويبثُّ الحياةَ فى كلِّ عِرقٍ
يتبنّاه فى النّواةِ الأُولى

فإذا أنت قائمٌ في ترقّيه
نظاماً وفي النظامِ هَيُولى
وإذا فِيكَ ماتداخَلَ مِن
أنْظِمَةِ الكونِ يُعجزُ التحليلا
النظامُ الذى يُنَوطُ بكَ العرش
ويحمى بشخصِك التنْزيلا
والنظامُ الذى يقودُ بكَ العا
لم حراً لايعرفُ التضليلاَ
والنظامُ الذى مشى بكَ فى الهدى
صريحاَ لايعْرِفُ التّدجيلا
والنظامُ الذى أدق بكَ الإجمال
فيما يكونُ والتفصيلا
والنظامُ الذى أقامَ بكَ الحقَّ
على كلٍّ ماادّعيتَ دليلا

النظامُ الذى تخيّرَهُ اللهُ
وروّى حروفَه « جبريلا »
ثم خضّ الوجودَ يبحثُ عمّن
يتلقّاهُ ، فاصطفاكَ رسُولا

* * *

أيُّهاذا الباكى علينا إذا أضحى
ويُمسى فينـا أمرٌ عويلا
يندبُ الحقّ إذ يراهُ على
أيدِى ذوِيه مشرّدًا مخذُولا
ويرى كلّ مؤمنٍ كافرَ الحر
صِ عليهِ مكبّلاً مغلولا
ويرى المنبرَ الذى يتبنّا
هُ بكلِّ ابنِ مارقٍ مأهُولا
مثّلَتهُ الأحكامُ أروعَ ما يُجر
مُ والشعبُ يشهدُ التمثيلا

يتحدّى طاغوتُه كلَّ فرقا
نٍ ويأبى حديثُه التأويلا
كلّما أعرقَتْ دَواهيهِ فيهم
ألّهوه فزادَهم تنكيلا
هكذا نحنُ بعدَ أحمدَ لم نحر
سْ حِمانا ولا منعنا الغيلا

***

ياسَبيلى إلى مثابةِ رُشْدٍ
ليسَ إلاّكَ لِى إليها سَبيلا
أنتَ علّمتنى منَ القولِ ما
يَعصِفُ بالكائناتِ حتى تقولا
فأقولُ الذى تَفيضُ به رُو
حى على الفنِّ كَرمةً ونخيلا
تتدلّى منهـا عثا كلُ تستَهْوى
على جبرَءوتِهِ ، الضِّليلا

أنتَ الهمتنى روائعَ لم يَبْر
حْ وجودِى برُوحِها موصولا
وسيبقى هـذا الوجودُ إلى بعْثى
عن كبريائِهـا مسْئُولاَ

***

أنْتَ ياسابحاً مع النورِ فى
عينى خيالا ، ومبدعا تخييلا
أنت هـذا الذى تبارَكُ تمثيلاً
على ناظرى وعزّ مثيـلا
لم ترَ العينُ فوقَ رؤيتها مِنكَ
ولا أبصَرَتْ سِواكَ جميلا
الجمالُ الذى يُهيبُ بأفـكا
رى إلى أنْ تقولَ لِى فأقولاَ
والجمالُ الذى يسيرُ مع العَقْل
حَقيرا ويستَقِلُّ جليلا

الجمالُ الذى سَقانى فعربد
تُ وما صفّقتْ يداى شَمُولا
والذى يكشِفُ الغِطاء لقَلبى
فأرى كلّ عاقِلٍ معقولا
لايطيقُ الصمودَ فى عِلّة الـكو
نِ صُعودًا ولا يُطيقُ نزولا
ندّ هـذا المسكينُ عن أن يعى
التحليلَ فيما يَعيهِ والتّعليلا
خاضَ وهو الصحيحُ، يلتمِسُ اللبّ
وقد عاد بالقُشورِ عليلا

مصر الجديدة

کتابِ مرقوم

كتاب مرقوم

من وحى مصر الجديدة ١٥ـ٣ـ٥١
يوم استفحل الفساد فى الحكم

كُنتِ لى رقةً وكنتُ نسيما
وَسأبْقَى على هواكِ مُقيما
أنت روّيتنى مِن الدّمِ فاخْضلّ
ت حواشِىَّ غِبطةً ونعيما
وأعلّت عَيْناكِ عينىَّ فارتدّ
جَديدى على يدَيكِ قديما
عدتُ غضَّ الشبابِ أروعَ لا
أنبسُ إلا مُزَمجراً محموما
وتقهقرتِ غِرّةً يبسِمُ الفجر
فيرفضُّ من صِباكِ نجوما

عاد هـذا القديمُ أبهجَ ما
يحضِنُ منا يتيمةً ويتيما
عاد يطوى على يدىَّ الليالى
مثقلاتٍ جفونُهـا تهْويمـا
عاد يحْدو الصَّباحَ بالأمَلِ الغضِّ
على الأُفْقِ حائرًا مكْلوما
وكأنى لمّا أزلْ ألفِظُ الزَّهْر
على فيكِ لُؤلُؤاً منظوما
وكأنى لمـا أزَلْ ألمحُ الذُّعرَ
بعَينيكَ يسترقُّ الرَّيما

* * *

القديمُ الذى أجدَّ لك الثغرَ
وأجْرى لمابَهُ تسنيما
وأرقَّ الفتورَ خلفَ مآقيـ
ـكِ ، وأجْراهُ فى الرياضِ نَسيما

وأعلَّ النهودَ مِنْ دمَى الغضِّ
وروّاه كَشْحَكِ المهضوما
القديمُ الذى أجدَّك أدْما
ءَ وأصفاكِ آدَماً وأديما
الذى شاء أن نكونَ أثيمَيْن
فكنّا أثيمةً وأثيما
ولوِ اخْتارَنا كراماً لأبلَيْنا
الليالى كريمةً وكريما

* * *

ما الجديدُ الذى يكونُ وما كا
نَ ليأتى مكرَّرا ويدُوما
القديمُ الذى قضى لك أن
تهْتِكَ عيْناكِ سِرَّىَ المكتوما
أن تكونا فى كل قلب خفوقاً
وعلى كلِّ مبْسِمٍ ترْنيما

أنْ تَذُوبا فِي جانبيّ حنانًا
وتفيضا مِن ناظريّ حميما
أن ترقّا حتى أرى الحَدَقَ الخُضْر
على كلِّ لبَّةٍ أُقنوما

***

القديمُ الذي أعَلَّكَ مِنْ قلبي
دمًا حال فِي يديك جَحِيما
هُوَ دِيني ومذهبي لا أرَى الجِدَّ
ةَ إلا شِعارَهُ الموسُوما
أطريفٌ هـذا الجديدُ ولو عاد
به كلُّ قائدٍ مهْزوما ؟؟
أوَ رثٌّ ذاك القديمُ وقد
دوَّى على كلِّ كوكبٍ تحويما ؟؟
أقديمُ ما كانَ كالذّهبِ الصِّرفِ
على كلِّ حادِثٍ قيُّوما ؟؟

وجديدٌ ما يأخذُ العينَ بالبهْرَ
ج فينا مهما يكنْ مَذموما ؟ ؟
أقديمٌ محمدٌ ؟ وَهُوَ فى كلِّ
زمانٍ يزيدُنا تقديمـا ؟ ؟
وجديدٌ هـذا الذى ينفثُ السمَّ
علينا فيُحكمُ التسْمِيما ؟ ؟

***

يا أبا المرسلينَ أىُّ جديدٍ
لستَ منْ فجرِه أرقَّ نسيما ؟
أىُّ غضٍّ تنافسَ العقلُ فيه
لم تكنْ فى الصَّميمِ منه صميما ؟
لم نجدْ فى الوُجودِ قبلكَ إلا
عَرَضاً تافهاً وعِرضا سقِيما
فاعَدتَ الحياةَ سيرتَها الأو
لى فماً باسِماً ووجهاً وسيما

وحزرنا كنهَ الحقيقة فى الأر
ضِ عُيوناً وفى السماءِ نجوما
وكَبرنا معَ الحياةِ قلوباً
ونضِجنا مع الجهادِ حلُوما
وقرأْنا سِفَر الطبيعةِ فى العالمِ
ريّانَ مِنْ دَمٍ وهَشيما
وفقَهْنَا حتى درسنا على كل
رقيمٍ كتابَكَ المرقوما

* * *

أنت يامهبط الزّعامةِ بُورِكْتَ
على عرشِ كلِّ قلبٍ زعيما
أنتَ نقّيت مَنهلَ الأدَبِ الحقِّ
وأوردْته النفوسَ الهيماَ
فإذا الشاعرُ المجنَّح يجتازُ
الرّوابى ويستقلُّ الغُيوما

وإذا الفنُّ يستحيلُ ضبابا
والشعورُ الـكريمُ يندَى كروما
وإذا بالأثيرِ يهتزُّ نَشْوا
نَ وبدرُ الظَّلام يعدُو ظليما

***

أنْت فى كلِّ مُهجةٍ حُلُمٌ يَسْرى
وعينٌ تزاولُ التنويما
فيرى القلبُ رأىَ عينِكَ لا
سِحراً يغشُّ النُّهىَ ولا تَنْجيما
يُبْصِر الحسُّ كيفَ ينشدُ تقْويم
المَرائى فيُحكِم التقويما
ويرى العقلُ كيفَ يدَّخِرالذكرى
وينسى غُرابه المشْؤما ؟
ويرَى الخيرَ تحتَ عاصِفة الشر
يعانى الخضوع والتسْليما

ويرى اللهَ ، وهو يُجهَلُ
في كلِّ بعيدٍ من حِسِّنا ، معلوما
أنْت فى كلِّ مقلةٍ كلُّ نور
وعلى كلِّ جبهةٍ كلُّ سيما
ياهلالاً يأبَى السِّرارَ على
التمِّ : وتأبَى سماؤُهُ أن يغيما
علقتْ فيك أنفسٌ لاترى الحقَّ
على غيرِ رَاحتَيك قويما
تترامى إليكَ عزلاءَ ، قلباً
مُستطَارًا ، وخاطِراً مكلُوما
تسألُ الصمَّ فى ديارِكَ أن
تسمَع والصخرَ أن يكونَ رحيما
وليتَهـا حكومةٌ لم تلِدْ فى
من تُولّى الأحكامَ إلا لئيما

أيُّها السيدُ استبدَّ بنا الذُّلّ
وعاد الزعيمُ فينا زنيما
وعبَدْنا من لم تزَلْ قائِمَ الذكرِ
على كبريائِهِ تحطِيما
ما أبرَّ القضاء يعصِفُ بالفَّا
شيءُ منا ، ويُحكمُ التعقِيما
فيعودُ الإسلامُ سيرتَهُ الأُولى
فلا ظالمًا ولا مظلوما
كلُّنا عاصِمٌ إذا عَسْعَسَ الليلُ
ويقضى نهـارَه معصُوما
لاثراء المثرِى يدكُّ به النجمَ
ولا العدمُ يحطِمُ المعدوما
لاالقويُّ العزيزُ يَعْبَثُ بالحقِّ
ولا الضعفُ يكبتُ المحْروما

لاترى ثَمَّ غاوِياً ولِيَ الحكمَ

ولا أىَّ راشِدٍ محكوما

هل يعودُ الإسلامُ سِيرتَهُ الأُو

لى ونَغشاهُ زمزَماً وحَطِيما ؟

ويعودُ الرسولُ فينا طبيباً

نَتَولاهُ أنفُساً وجُسُوما ؟

ويحول الخصامُ فينا وِئَاما

ويعودُ المريضُ منا سَلِيما ؟ ؟

أو تحنو الدُّنيا لنا مَرةً أخرى

وتمنُو أَزِمّةً وشكِيما ؟ ؟

وتعودُ الأيامُ زُهر الأماسِيّ

فُنوناً مِنْ عهدِنا وعلوما ؟ ؟

مصر الجديدة ١٥/٣/٥١

التِّينَ وَالزَّيتونْ

[من وحى مصر الجديدة]

التين والزيتون

[من وحى مصر الجديدة] ٣٠/٣/٥١

وقد رأيت اليأس على وجوه الأمة من فساد الحكم فيها

أنتِ أخْرجتِنى وكنتُ سَجيناً
تزْدَهِينى الحياةُ ماءً وطيناً

كنتُ آوِى إلى الكُهوفِ وأجتا
زُ الرَّوابى ، وأقْطِف الزَّيتونَا

كُنتُ أمتصُّ إنْ ظَمئتُ فمَ الكُو
زِ وأقتاتُ ، إذْ أجوعُ التِّينَا

لاأرَى الكونَ غيرَ كوخٍ بعينى
وَأعِيهِ البيَانَ والتَّبيِينَا

كنتُ أغدُو على الحقولِ معَ الفجرِ
فأُغنى ، ويوقظُ الحسُّونا

كُنتُ لا أفقهُ الحياةَ معَ العُزْلةِ
إلاَّ دُعابةً ومُجونَا
ثمَّ أخرجتِنى بلحظةِ عَيْنٍ
تركَتْنى بسِحْرِها مَفْتُونَا
فإذا الأرضُ غيرَ ماتُبْصرُ العينُ
فجاجاً وأنهراً وسَفِينا
وإذا الحبُّ غير ما يَفقَه الغِرُّ
ويُوليه سرَّهَ المكْنُونَا

***

فَوَرَدْتُ الرِّياضَ أسبحُ فى النُّو
رِ واجلوكِ مَبْسِماً وجَبِينَا
قَسَّمَ الروحَ بيْنَ أُسرتهِ الفنُّ
فكنتِ الهوَى وكنتُ الهونَا
كانَ فيكِ الهوَى كما كُنتِ فى
الرَّوْضِ ، شِفاهاً وأنملاً وعُيونَا

عدتُ أَسْتَعرِضُ الحياةَ فما
أبصر إلاَّ الدِّهانَ والتَّلْوينَا
وأُناجى هَمْسَ الوُجُودِ فما
أسمَعُ إلاَّ الغِناءَ والتَّلحينَا
وإذا لَفَّنى الظَّلامُ أو افترَّ
لىَ الصُّبحُ خِلتُنى مَجْنُونا

* * *

كانَ هذا الهوَى ، وَلم يَكُ شيئاً ،
فى ضَمِيرِ الوُجُودِ سِرًّا دَفينا
كانَ فى مَبْسِمِ الصَّباح بريقاً
وعلى جَبْهَةِ المساء غُضونَا
كانَ فى قلبك الوديعِ حَناناً
وعلى ناظِرىَّ فاضَ حَنِينَا
وَإذا لم نكُنْ ، فأىُّ جمالٍ
خشع الكونُ تحته ليكُونَا

مَن رأى قبلك الصَّباحَ فندَّى
بصِباهُ الأقاح والنِّسْرِينا ؟؟
وَوَعى قبلىَ الجمالَ فوَشَّى
بِنَسِيج البَيان هَذِى الفنُونا ؟
نحنُ سِرٌّ الجمالِ قبلاً وبعداً
مُنْذُ كُنَّا جَنِينةً وَجَنِيناَ
نحنُ كُنَّا وَلا نزَالُ أمانىَّ
وُجُودٍ يُزجى الأمانىَّ فِيناَ
وَستَبْقى هَذِى الأمانىُّ أحْلا
مَ بَنات مِنْ رَكْبِنَا وَبنِيناَ

* * *

يافتاتى إلى مَ نَعْبَثُ بالْعُمْرِ
وَنَلْهُو ، خَدِينةً وَخَدِيناَ ؟؟
أفلا يَقْظَةٌ تبَلِّغنَا الشَّا
طئَ فى غَمْرَةِ الحياةِ أمِيناَ ؟؟

إتبعينى فَلَسْتُ أهجعُ إلاَّ
أن أرى الخيفَ والصَّفاوَالحجُونَا
وأرى « طَيْبَةً » وأُنشِقَ رُوحى
كلَّ عِطرٍ فى ترْبها مدْفُونا
وأُناجى أبا عَباقِرةِ الإسْلامِ
ألفاتحــــينَ ، أَلغازِينا
أَينَ ذاكَ الروح الذى انبثَّ فى الـكَوْ
نِ فبثَّ الْيَراعَ والتَّدْوينا ؟
أينَ تِلكَ الجيادُ مَبْثوثةَ الأرْ
ضُ فى كلِّ بُقعةٍ تِنِّينا ؟
أين تِلكَ الأجوادُ مَشْبوبةَ الأ
لْسُنِ فى كلِّ مِرْجلٍ أتُونَا ؟
أينَ يامُعْجمَ الحياةِ سُلاماكَ
تغذِّى « حُسَيْنَكَ » المِسْكينا ؟

كلَّ يومٍ يَطْغَى بِزَيدُ وَيَنْها
رُ «حُسَيْنٌ» بسيفه مَطْعُونَا
فَلَّ مَرْوانُ غَرْبَ سَيْفِكَ با
لْبغىِ ، وما زَالَ سَيْفُه مَسْنُونَا
وَرِثَ الحكمَ ساسةُ العُرْبِ عنهُ
وتبنَّوا شِمارَهُ الملْعونَا
أيُّها النَّاهِضُ المجدِّد باليَقظَةِ
عقْلَ المغفَّلِ المأْفُونَا
ماعرَفنَا القديمَ إلاَّ على كفَّ
يكَ ينهار يَسْرَةً ويمينَا
والجديدُ الذى يشيرُ إلى الحقِّ
تبوأتَ عَرْشَهُ الميْمُونَا
أنتَ سِرُّ الصَّفاءِ فى كلِّ مايَهْ
تِفُ بالماءِ أنْ يَكونَ مَعِينَا

وَجمالُ البَيانِ فى كلِّ مايُو
حِى إلى الفنِّ أن يكونَ مُبينَا

***

ياتُراثَ الإنسان أروعَ مايَرْ
قَى ظهورًا أوْ يَستَقِلُّ بطونَا
جِئتَ والعَقْلَ بالسَّلامِ فمَا انفكَّ
يُماشِيكَ دائمًا ومَدِينَا
أنتَ وَالعَقْلُ مِثلمَاالرُّوحُ والجِسْمُ
قَرينانِ كائنًا وَمكينَا
ليسَ لِلعقْلِ أن يُقرِّرَ مالمْ
يَكُ فى دِينِ أحمدٍ مَسْنُونَا
وإذا الدِّينُ وهو أحكمُ عقلٍ ،
أخطأَ العقلَ ، أخْطأَ التمدينَا
والسِّرَاجُ المنير زيتًا ونورًا
هو مثلُ الحياةِ عقلاً ودِينًا

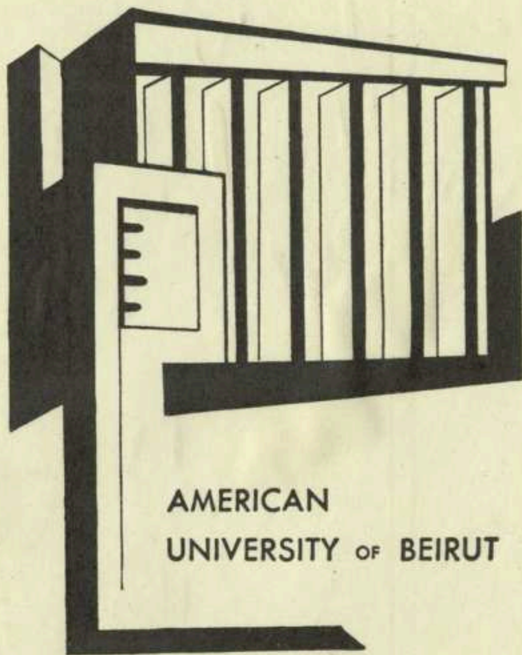
أَنتَ يامَفْزَعَ السُّرَاة من الضِّلة
بُوركتَ كوكبَ السَّارِينَا
لم يزلْ ذِكْرُكَ الحكيمُ أبا الحىِّ
وأُمَّ الأشقَّةِ الثَّاوِينا
لم يَزَلْ مُنْذُدارَ فى خَلَدِالكَوْنِ
هُدَى الآمِرِينَ وَالنَّاهِينا
لم يَزَلْ فيهِ شَخْصُ أحمدَ شمَاحاً
على كلِّ شامخٍ عِرْنِينا
يَتراءى لِلعبقرىِّ بما كوَّنَ
منه فَيبدعُ التَّكوينا
وَيمجُّ الحياةَ فى عَصبِ الدَّهْرِ
فَيُزجى التَّحريكَ والتَّسْكِينا
فإذا هَذِهِ الأحاجىُّ أرضاً
وإذا الأرضُ كوكباً مَسْكُونا

DATE DUE


JAFET LIB.
28 SEP 2007
Circulation Dept.3

JAFET LIB.
04 FEB
Circulation




AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT